الإمام المهدي (عليه السلام)

في القرآن

اسم الكتاب: الإمام المهدي(عليه السلام) في القرآن
المؤلف: السيد عبدالرحيم الموسوي
الموضوع: كلام
الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)
الطبعة: الاولى
التاريخ: ١٤٢٥ هـ
المطبعة: ليلى
الكمية: ٣٠٠٠
ISBN: 964-8686- -
حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي
www.ahl-ul-bayt.org

كلمة المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)

إنّ تراث أهل البيت(عليهم السلام) الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبّر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربّي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتذين لخُطى أهل البيت(عليهم السلام)الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام) ـ منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه ـ للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضبّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت(عليهم السلام) وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت(عليهم السلام)في هذا المضمار فريدة في نوعها ; لأنها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام) ان يقدم لطلاّب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة في باب الحوار والسؤال والرد على الشبهات ـ التي أثيرت في عصور سابقة أو تثار اليوم ولا سيّما بدعم من بعض الدوائر الحاقدة على الإسلام والمسلمين من خلال شبكات الانترنيت وغيرها ـ متجنّبة الإثارات المذمومة وحريصة على استثارة العقول المفكرة والنفوس الطالبة للحق، لتنفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر يتكامل فيه العقول ويتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

ولابدّ أن نشير الى أن هذه المجموعة من البحوث قد أُعدت في لجنة خاصة من مجموعة من الأفاضل . ونتقدم بالشكر الجزيل لكل هؤلاء ولأصحاب الفضل والتحقيق لمراجعة كلّ منهم جملة من هذه البحوث وابداء ملاحظاتهم القيّمة عنها.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)

المعاونية الثقافية ـ قم المقدسة

الإمام المهدي في القرآن

المقدمة

لما كان القرآن الكريم كتاب هداية للناس كافة، وهو السبيل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولم يترك شأناً صغيراً أو كبيراً من شؤون الحياة إلاّ وبيّنه بأحسن بيان; ولذا فمن اتخذ القرآن منهجاً له في الحياة ومرجعاً له في حل مشكلاتها سيأخذ به القرآن الى حيث السعادة في الدارين، ومن أعرض عنه واتّخذ مناهج الضلالة طريقاً ستكون معيشته في الحياة ذليلة ومصيره في الآخرة في النار.

وأحد المشاكل الكبرى في حياة الإنسان والتي بدأت منذ القدم ولازال الحديث فيها لم ينتهِ بعد هي مسألة المستقبل البشري والعوامل المؤثرة في التاريخ فيما إذا كان يتحرك نحو هدف محدد أم لا؟ وإذا كان يتجه نحو نهاية محددة فما هي يا ترى تلك المحطة التي ستنتهي إليها الإنسانية؟

كما انشغل الإنسان في البحث عن الدولة الفاضلة وسماتها التي تنبّأت بحدوثها الديانات السماوية كما تناولتها الفلسفات المادية وغيرها بالبحث والتحليل .

كل ذلك يدعونا الى طرح المسألة على القرآن الذي لا يعقل بل لا يليق بالكتاب الكامل الذي خطته يد الغيب في أن يهمل تلك المسألة الحسّاسة والمصيرية في الحياة الإنسانية ويترك الحديث فيها لغيره.

ولكن المتتبّع لهذه المسألة في القرآن رغم التشويش الذي ألقته المناهج التفسيرية المتأثرة بالمدارس الكلامية التي ابتدعتها السياسة بعد وفاة صاحب الرسالة(صلى الله عليه وآله) سيجد أن القرآن الكريم قد اعتنى بها أيما اعتناء.

وتوجد آيات كثيرة تناولت مسألة الإمام المهدي ودولته الإسلامية المرتقبة التي تعم الأرض وتقام على أساس القسط والعدل بلا ظلم ولا كفر بوجوه شتى كل ذلك من أجل تثقيف الإنسان نحوها لأنها الغاية الكبرى التي عمل الأنبياء والمعصومون لأجل وصول الإنسان إليها.

كما سنجد ضحالة التفكير الذي يعمد لفصل هذه المسألة عن الإسلام والقرآن وعن جهد الرسول(صلى الله عليه وآله) الذي كثيراً ما كان يشير الى خاتم الأوصياء بالاسم وبيان التخطيط الإلهي الذي ينتهي بدولته ضمن آلية مترابطة الحلقات.

من هنا فقد تناولنا مسألة المهدي في القرآن ضمن عدد من الفصول.

الفصل الأوّل: المناهج التفسيرية الطارئة وأثرها في الدراسات القرآنية.
الفصل الثاني: التأويل في القرآن الكريم.
الفصل الثالث: الإمامة في القرآن الكريم.
الفصل الرابع: حتمية الظهور.
الفصل الخامس: الظواهر في مرحلة الانتظار.
الفصل السادس: السنن الإلهية في مرحلة الانتظار.
الفصل السابع: الدولة الإسلامية والمجتمع الفاضل.

الفصل الأوّل

المناهج التفسيرية الطارئة وأثرها في الدراسات القرآنية

لا سبيل الى رقي الأمة وتحقيق كمالها إلاّ بالرجوع للقرآن والعترة، ولا سبيل لاستنطاق القرآن وجعله حاكماً في حياة الأمة وحركتها إلاّ عن طريق التمسك بالعناصر والأدوات الكفيلة باستنطاقه وبيان مقاصده ومراميه، إلاّ أن الذي عطّل القرآن عن العطاء وأقصاه من الحياة ورمى بركام الضبابية والتشويش على حقائقه ومعانيه بغية الحؤول دون حاكميته مناهج التضليل المبتدعة التي أوجدتها السياسة بعد أن أزاحت خط العصمة ـ العارف بمقاصد القرآن وتأويله ـ عن الخلافة والمرجعية.

فإقصاء القرآن عن حياة الأمة والأخذ منه بقدر محدود أو بقدرما تريده الأهداف السياسية والمصالح الدنيوية يؤدي بطبيعة الحال وبما لا يقبل الشك الى تخلف الأمة وتراجعها.

فحين نزل القرآن كانت له علاقة وجدانية مع الأمة ـ بحيث لا يمكن التفكيك بين مسيرتها وبين القرآن، وكانت الثلة الصالحة القريبة من رسول الله(صلى الله عليه وآله) ـ قد تفاعلت مع القرآن ومفاهيمه حتى اختلط بمشاعرهم وعقولهم، فالمتتبع للظواهر السلوكية والفكرية التي سجلها التاريخ لهم يجد القرآن فيها حاضراً بروحه ومفاهيمه.

وحقيقة أُخرى فإن فهم الصحابة للقرآن في الصدر الأوّل والمستوى الاستيعابي لمعارفه، كان يرجع الى التفاوت في مداركهم الإيمانية سعة وضيقاً، فكلما اقترب الإنسان من الرسالة واندك مع أوامر صاحبها فهماً وسلوكاً، كان لتلك العلاقة انكعاساتها في ابداعات الصحابي ومواقفه، كما أن لها الأثر في فهم ذلك الصحابي للقرآن.

ولم يكن المستوى الإيماني هو العامل الوحيد دون الأخذ الواعي من القرآن بل كان للعامل السياسي والمتغيرات التي حصلت بعد النبي الأثر السلبي في علاقة المسلم مع القرآن حيث أفتقدت تلك المرحلة شيئاً كبيراً من نقاء القرآن وصفائه.

وتنامى الابتعاد عن القرآن فبفعل بروز انحرافات جديدة شملت حقول الاجتماع والمعرفة مما زاد في المسافة بين المسلم وقرآنه، ففي مجال العقيدة مثلاً دخلت فكرة التجسيم والتشبيه الغريبة عن العقيدة حيث استطاعت هذه الفكرة أن تمتد الى القرآن بغية استخدام آياته كشاهد ومؤيد لصحتها مثل قوله تعالى: (**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**)[1] وقوله تعالى: (**وَيَبْقَى وَجْهُ**

---

(١) الفتح: ١٠ .

رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ)[٢] وقالوا إن لله وجه ويد ورجل وانّه ينزل الى السماء الدنيا في كل جمعة، وانّه يظهر لأهل الجنة كالقمر، وان المؤمنين يصافحونه وهكذا... وقد طغت فكرة الجبر التي أدّت خدمات كبيرة لأصحاب السياسة حيث ساهمت في تبرير انحرافاتهم واضطهادهم للأمة، فقالت: إن الإنسان مسلوب الإرادة وأن الله هو الفاعل لأفعال العباد واستشهدوا بقوله تعالى: **(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)**[٣].

كما تناولت السياسة وخصوصاً في العصر الأموي عقيدة النبوة من أجل الحطّ من قيمتها وتنزيل النبي الى مستوى الإنسان العادي الذي لا يؤهله سلوكه في أن يكون قدوة للناس كل ذلك من أجل تبرير انحرافاتهم الخطيرة عن طريق هذا الخلط واللعب بالمفاهيم التي لا تميز بين سلوك وسلوك، فقالوا بجواز صدور المعاصي والذنوب من الأنبياء اعتماداً على نصوص وجّهوها فيما بعد مثل قوله تعالى: **(وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)**[٤] وقوله: **(وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى)**[٥]، وقوله: **(وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أن رَأى بُرْهَانَ رَبِّهِ)**[٦].

بعد ذلك دخل تفسير القرآن بالرأي الذي لا يعتمد الأحاديث والروايات الصحيحة الصادرة عن النبي أو أحد الأئمة المعصومين(عليهم السلام)، ولا على الظهور اللفظي الثابت في لغة العرب، ولا على الأحكام العقلية الفطرية الأولية، وبهذا أشار النبي الى خطورة هذه المسألة بوقت سابق ولحقه أئمة أهل البيت(عليهم السلام)حيث قال(صلى الله عليه وآله): **«من فسّر القرآن برأيه فليتبوّء مقعده من النار».**

ثم دفعت السياسة وأهل الاعتقادات الفاسدة بأصحابها أن يعتمدوا الروايات الإسرائيلية في تفسير القرآن، بدل الحديث الصحيح .

ذكر القرطبي في تفسير سورة غافر عن خالد بن معان عن كعب أنه قال: لما خلق الله العرش قال:

لم يخلق الله أعظم منيواهتزّ تعاظماً، فطوقه الله تعالى بحية لها سبعون ألف جناح، في كل جناح سبعون ألف ريشة، في كل ريشة سبعون ألف وجه، في كل وجه سبعون ألف فم، في كل فم سبعون ألف لسان، يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر، وعدد

---

(٢) الرحمن: ٢٧ .

(٣) الصافات: ٩٦ .

(٤) طه: ١٢١.

(٥) الضحى: ٧ .

(٦) يوسف: ٢٤ .

ورق الشجر، وعدد الحصى والثرى، وعدد أيام الدنيا، وعدد الملائكة أجمعين، والتوَت الحية على العرش، فالعرش الى نصف الحية وهي ملتوية عليه، فتواضع عند ذلك»[٧].

قال معاوية لكعب:

أنت تقول إنّ ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا؟ فقال له كعب:

إن كنت قلت ذلك فإن الله قال:

(وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً)[٨].

وقال كعب:

الأرضين السبع على صخرة، والصخرة في كف ملك، والملك على جناح الحوت، والحوت في الماء، والماء على الريح، والريح على الهواء، ريح عقيم لا تلقح، وإن قرونها معلقة في العرش[٩].

عن وهب بن منبّه قال: أربعة أملاك يحملون العرش على أكتافهم، فكل واحد منهم أربعة وجوه: وجه ثور، ووجه أسد، ووجه نسر، ووجه إنسان، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة، أما جناحان فعلى وجهه ليحفظاه من أن ينظر الى العرش فيصعق فيهفو بهما...»[١٠].

وأخيراً دخلت التأويلات الباطنية الفاسدة للقرآن الكريم التي تعتمد الصيغ المبتدعة، فقد توغل المتصوّفة في تأويلاتهم الباطنية للقرآن على أسس غير صحيحة ولا تملك الحجة ولا الدليل.

فقد أوّلوا مثلاً قوله تعالى: **(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)**[١١].

إنّ إبراهيم هو العقل، وأن إسماعيل هو النفس وأنّ العقل هنا كان ينوي قتل النفس[١٢].

كما أوّلوا قوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا)**[١٣].

أي حجبوا عن تجليات صفاتنا وأفعالنا إذ مطلع الآية كونه متجلياً بالعلم والحكمة والملك في آل إبراهيم (سوف نصليهم ناراً)، نار شوق الكمال لاقتضاء غرائزهم وطبائعهم بحسب استعدادهم ذلك مع رسوخ الحجاب ولزومه أو نار قهر من تجليات صفات قهره تناسب أحوالهم، أو نار شره نفوسهم وحدّة شوقها وطلبها لما ضربت من كمالات صفاتها وشهواتها

---

(٧) الجامع الكبير لأحكام القرآن، القرطبي ١٥:٢٨٢ ط القاهرة.

(٨) الكهف: ٨٤ .

(٩) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣:١٠٦ ط بيروت.

(١٠) أضواء على السنة المحمدية: ١٥٨، ١٥٩ ط بيروت.

(١١) الصافات: ١٠٢ .

(١٢) تفسير القرآن، ابن عربي ٢:١٦٦ .

(١٣) النساء: ٥٦ .

مع حراستها عنها (**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم**)[١٤] رفعت حجبهم الجسمانية بانسلاخهم عنها (**بَدَّلْنَاهُمْ**)حجباً غيرها جديدة (**لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**) نيران الحرمان[١٥].

وهذه الصيغ التي أعتمدت لفهم القرآن طارئة وغير أصيلة ولا تؤدي الى الفهم الصحيح .

نعم إن التأويل وارد في القرآن ويمكن اعتماده كطريق لفهم القرآن فيما لو التزم الأحاديث الواردة عن النبي(صلى الله عليه وآله) وآله(عليهم السلام)باعتبارهم العارفين بتأويل القرآن.

قال الإمام الباقر(عليه السلام):

«**أفضل الراسخين في العلم رسول الله**(صلى الله عليه وآله) **قد علم جميع ما أنزل الله في القرآن من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله**».

وقال الإمام الصادق(عليه السلام):

«**إنّ الله علّم نبيّه التنزيل والتأويل فعلّم رسول الله علياً**(عليه السلام) **وعلّمنا والله**».

وقال(عليه السلام):

«**نحن الراسخون في العلم فنحن نعلم تأويله**»[١٦].

ولما كان موضوع التأويل له مدخلية في الحديث عن مستقبل الأمة ومصيرها ولما سوف تلاقيه من مصاعب وأحداث ينبغي الوعي والبصيرة في مآلها والتي تدور حول محور المهدوية ودور الأمة في عصر الظهور وما قبله لذا كان من اللازم التطرق الى بيان معنى التأويل ليمنحنا بالتالي معلومات ثرّة تبلور مسألة مفهوم المهدوية التي تمنح هي الأخرى أي تلك الآيات المؤوّلة بالمهدي وعياً بالأحداث المستقبلية ليكون موقف المسلم ازاءها موقفاً منسجماً مع القرآن.

---

(١٤) النساء: ٥٦ .

(١٥) تفسير القرآن، محيي الدين بن العربي ١:١٥٢ .

(١٦) بحار الأنوار، المجلسي ٤٣:١٨٢ ح ٤١.

الفصل الثاني
التأويل في القرآن الكريم

في هذه الفقرة من البحث سنتناول مسألة التأويل في منظور القرآن ودوره في فكّ كثير من الألغاز التي لا يجد القارئ سبلاً لفهما بدون معرفة معنى التأويل بغية الاستفادة من تلك المساحة الكبيرة التي أوّلها النبيوأهل بيته بالإمام المهديودولته المرتقبة.

المعنى اللغوي

قال الفيروزآبادي: إن الأصل في التفسير ، الإبانة وكشف المعنى، وقال: أول الكلام تأويلاً دبّره وقدره وفسّره، ويريد أن ينتهي بأن التأويل والتفسير بمعنى واحد.

وقال أحمد بن فارس تأويل الكلام يعني: عاقبته وما يؤول إليه.

وقال الطبرسي: التفسير هو كشف معنى اللفظ وإظهاره، وهو يكاد يكون ضد التأويل الذي هو ردّ أحد المحتملين الى ما يطابق الظاهر.

المعنى الاصطلاحي

المعنى الاصطلاحي المتداول لكلمة التأويل لا يفي بالغرض ولا يلم بكامل أبعاد كلمة التأويل كالتي يتناولها القرآن الكريم، حيث يعطي التأويل معنى آخر والذي يمكن بموجبه العمل مع الآيات التي أوّلها أئمة أهل البيت في المهدي(عليه السلام)ودولته الكبرى.

جاءت كلمة التأويل في القرآن الكريم في سور عديدة منها:

١ ـ قال تعالى:(**قالُوا أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ**)[١٧].

وقوله تعالى: (**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ... نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**)[١٨].

وقوله تعالى: (**وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ...**)[١٩](**ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي**)[٢٠]

وقوله: (**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ...**)[٢١] وقوله: (**وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ...**)[٢٢].

---

(١٧) يوسف: ٤٤ .

(١٨) يوسف: ٣٦ .

(١٩) يوسف: ٤٥ .

(٢٠) يوسف: ٣٧ .

(٢١) يوسف: ١٠١ .

وهذه الآيات تكشف لنا من كون التأويل يقوم بدور كشف الأسرار وهو أمر متعلق بالعلم الإلهي وليس له بالتحصيل والعلم الكسبي دخل كما هو شأن التفسير; ولذا قال: (**وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ**) وقوله: (**مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي**). لأن التفسير يعني إيضاح مدلول اللفظ الذي لا دخل له بالباطن ولا بالأسرار شيء.

٢ ـ وجاء ذكر كلمة التأويل في سورة الكهف: (**ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً**)[٢٣] وهي تعني أيضاً مما ليس له ارتباط باللفظ ودلالته ولها اتصال بالمعين الباطن للحوادث وجريانها مستقبلاً.

٣ ـ وجاء في سورة يونس: (**بَلْ كَذَّبُوا بمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ**)[٢٤].

والتأويل هنا جاء بمعنى تحقق ما ذكره القرآن الكريم من تصديق الرسالات السابقة وتفاصيل الشريعة والرسالة وما يمكن أن يتحقق من مسيراتها بعد ذلك من أحداث.

٤ ـ وفي سورة الأعراف قال تعالى: (**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**)[٢٥].

والتأويل هنا جاء بمعنى تحقق ما أخبر به الكتاب أو القرآن الكريم بما يقع يوم القيامة من العذاب والثواب ومصائر الناس، حيث يصدق الإنسان ما جاءت به الرسل عن الله تعالى من حقائق هذا اليوم.

٥ ـ وفي سورة الأعراف قال تعالى: (**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَبَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَبِ وَأُخَرَ مُتَشَابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ**)[٢٦]

وجاء معنى التأويل هنا الأخذ بالمتشابه وتطبيقه على أحد مصاديقه التي تؤدي الى الفتنة والزيغ بدون الرجوع للمحكم من القرآن لتشخيص المصداق الصحيح.

أما في سورة النساء قال تعالى: (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**)[٢٧].

---

(٢٢) يوسف: ٦ .

(٢٣) الكهف: ٨٢ .

(٢٤) يونس: ٣٩ .

(٢٥) الأعراف: ٥٣ .

(٢٦) آل عمران: ٧ .

وهنا جاء التأويل بمعنى بيان الموضوع أو تشخيص نوع الحكم الشرعي عند الاختلاف فيه.

ومن خلال هذه الموارد التي جاءت في القرآن الكريم لمعنى التأويل ما عدا الآية المذكورة في سورة آل عمران يمكن القول بأن التأويل غير التفسير ولا نملك دليلاً على أنها استعملت بمعنى التفسير في مورد ما من القرآن الكريم.

والمعنى المناسب لتلك الآيات هو أن يكون المراد بتأويل الشيء هو ما يؤول وينتهي إليه في الخارج، والحقيقة كما تدل عليه مادة الكلمة نفسها، ولهذا أضاف الردّ الى الله والرسول تارة والكتاب أخرى.

وهذا نفسه هو المراد من كلمة التأويل قال تعالى: **(فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ)**[٢٨].

فتأويل الآيات المتشابهة ليس معنى لبيان مدلولها وتفسير معانيها اللغوية، بل هو ما تؤول إليه تلك المعاني، لأن كل معنى عام حين يريد العقل أن يحدده ويجسده ويصوّره في صورة معينة فهذه الصورة المعنية هي تأويل ذلك المعنى العام.

وعلى هذا الأساس يكون معنى التأويل في هذه الآية هو ما أطلقنا عليه اسم تفسير المعنى، لأن الذين في قلوبهم زيغ كانوا يحاولون أن يحددوا صورة معينة لمفاهيم الآيات المتشابهة إثارة للفتنة، لأن كثيراً من الآيات المتشابهة تتعلق معانيها بعوالم الغيب، فتكون محاولة تحديد تلك المعاني وتجسيدها في صورة ذهنية خاصة ـ مادية أو منسجمة مع هوى ورأي المؤول ـ عرضة للخطر وللفتنة.

ونستخلص من ذلك أمرين:

أحدهما: التأويل جاء في القرآن بمعنى ما يؤول إليه الشيء لا بمعنى التفسير، وقد استخدم بهذا المعنى الدلالة على تفسير المعنى لا تفسير اللفظ، أي على تجسيد المعين العام في صورة ذهنية معينة.

والآخر: إن اختصاص الله سبحانه والراسخين في العلم بالعلم بتأويل الآيات المتشابهة لا يعني أن الآيات المتشابهة ليس لها معنى مفهوم، وأن الله وحده هو الذي يعلم بمدلول اللفظ وتفسيره، بل يعني إن الله وحده هو الذي يعلم بالواقع الذي تشير إليه تلك المعاني، ويستوعب حدوده وكنهه، وأما معنى اللفظ في الآية المتشابهة فهو مفهوم بدليل أنّ القرآن يتحدث عن اتباع مرضى القلوب للآية المتشابهة، فلولم يكن لها معنى مفهوم لما صدق لفظ (الاتباع)

---

(٢٧) النساء: ٥٩ .

(٢٨) آل عمران: ٧ .

هنا، فما دامت الآية المتشابهة يمكن أن تتبع فمن الطبيعي أن يكون لهامعنى مفهوم، وكيف لا يكون لها معنى مفهوم وهي جزء من القرآن الذي أنزل لهداية الناس وتبيان كل شيء!

ويؤكد هذا الفهم لمعنى التأويل للأحاديث الواردة عن أهل البيت(عليهم السلام)، حيث تشير أيضاً الى أن التأويل في الغالب هو تطبيق مفاهيم القرآن على المصاديق المستقبلية، كما يفهم ذلك من رواية الفضيل بن يسار المعتبرة، ورواية المرزبان عن إسحاق بن عمار المعتبرة أيضاً، ورواية زرارة عن أبي جعفر الباقر(عليه السلام).

أو يكون التأويل هو اتّباع الضوابط في تشخيص موارد الاختلاف والوجوه المتعددة، مثل رواية العياشي عن عبدالرحمن السلمي: إنّ علياً مرّ على قاض فقال له: «**أتعرف الناسخ والمنسوخ؟** قال: لا. قال: **هلكت وأهلكت; تأويل كل حرف من القرآن على وجوه**»[٢٩].

أو رواية النعماني في تفسيره عن إسماعيل بن جابر في قول الصادق(عليه السلام): «**ذلك بأنهم ضربوا القرآن بعضه ببعض واحتجوا بالمنسوخ وهم يظنّون انّه الناسخ، واحتجوا بالخاص وهم يقدرون أنه العام، واحتجوا بأوّل الآية وتركوا السنّة في تأويلها، ولم ينظروا الى ما يفتح الكلام والى ما يختمه...**»[٣٠].

وكذلك حديث أبي داود عن أنس بن مالك، عن النبي(صلى الله عليه وآله): «**يا علي أنت تُعلّم الناس تأويل القرآن ممّا لا يعلمون;** فقال علي: **على ما أبلغ رسالتك من بعدك يا رسول الله؟** قال: **تخبر الناس بما يشكل عليهم من تأويل القرآن**»[٣١].

إذاً فالتأويل عملية تطبيق وتشخيص تنسجم مع الظاهر والتنزيل والمحكم، وتعتمد على المعلومات والقواعد والضوابط العامة أو الخاصة التي يتلقاها الإنسان الصالح من الله تعالى، كما في قوله تعالى: (**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً**)[٣٢].

اختصاص أهل البيت(عليهم السلام) بهذا العلم

إنّ أهل البيت(عليهم السلام) وهم رسول الله محمد بن عبدالله(صلى الله عليه وآله) والأئمة الإثنا عشر(عليهم السلام) ، والصديقة الزهراء(عليها السلام) يختصون من بين المسلمين بامتيازات كثيرة، أحدها هي أنهم يعلمون تنزيل القرآن وتأويله وظاهره وباطنه ومحكمه ومتشابهه.

ومع غضّ النظر عن مصدر هذا العلم[٣٣] فانّه لابد أن نشير في هذا المجال الى عدة نقاط:

---

(٢٩) وسائل الشيعة ١٨:١٤٩ ح ٦٥ .

(٣٠) وسائل الشيعة ١٨:١٤٩ ح ٦٢ .

(٣١) المسدر السابق: ١٤٤، ح ٤٦ .

(٣٢) الكهف: ٨٢ .

الأولى: إنّ المراد من اختصاصهم بهذا العلم كما هو مقتضى الجمع بين هذه الروايات هو اختصاص العلم بـ (جميع) تفسير القرآن و(كل) القرآن بهذا المعنى الواسع الذي أشرنا إليه، لا أن القرآن لا يفهمه غير أهل البيت(عليهم السلام)، ولذا جاء التعبير بهذا الاختصاص مقروناً ـ أحياناً ـ بكلمة (كل) و (جمع)[٣٤]، وجاء هذا التعبير مقروناً ـ أحياناً أخرى ـ ببيان تفصيل أبعاد هذا العلم[٣٥].

وهذا المعنى لا ينافي أن يكون القرآن هادياً للبشرية ولجميع الناس; حيث يمكن للناس أن يفهموا القرآن ويرجعوا إليه فيما يعرفون من معانيه، وفق الضوابط والقوانين العلمية الصحيحة.

الثانية: إنّ أهل البيت في الكثير من هذه الروايات كانوا يحاولون معالجة الواقع الخطير الذي كان عليه بعض المفسرين للقرآن الذين اعتمدوا على الرأي والظنون دون الرجوع الى الضوابط العلمية والسنّة المروية والعترة الطاهرة التي جعلها النبي الأكرم مرجعاً للمسلمين والثقل الآخر الذي لا يفترق عن القرآن الكريم. فأهل البيت انكروا على بعض المسلمين العدول عن العلم الى الظن، وهذا غير جائز باجماع المسلمين.

الثالثة: إنّ من الطبيعي أن يكون أهل البيت(عليهم السلام) لهم هذا النوع من الاختصاص إذا أخذنا التفسير بمعناه الواسع.

فكما صح أن يكون هذا النوع من الاختصاص ليوسف(عليه السلام)وهو من أنبياء بني إسرائيل، أو يكون لعبد من عباداالله الصالحين آتاه الله العلم والمعرفة، يمكن أن يكون هذا الأمر للأئمة الطاهرين وهم ورثة النبي في علمه.

وهذا النوع من المعلومات لا دليل على وجود قواعد وضوابط يمكن من خلالها الاطلاع عليها وتعلمها ـ كما يحاول أن يذهب الى ذلك العلاّمة الطباطبائي ـ بل قد تكون هي من الأمور الغيبية التي يكون علمها عند الله تعالى ـ وهو الذي يلقيها ويعلّمها للأنبياء، أو لهم وللأوصياء والأولياء الذين يختارهم ـ تعالى ـ ويصطفيهم عندما تقتضي حكمته ذلك، أو يحجبها عنهم عند اقتضاء الحكمة ذلك.

---

(٣٣) يوجد بحث كلامي وروائي في أنّ هذا العلم هل هو من باب التلقي عن الرسول(صلى الله عليه وآله)، أو من باب الالهام والالقاء من الله تعالى، أو من باب العلم بالغيب الذي اطّلع الله تعالى بعض عباده عليه، أو هو من جميع هذه المصادر ولا يهمنا الآن الدخول في هذا البحث.

(٣٤) الكافي ١:٢٢٨، الحديث ١و٢ وص ٢٢٩، الحديث ٥ و ص ٥٧، الحديث ٣.

(٣٥) وسائل الشيعة ١٨:١٣٥، الحديث ٢٣، وص١٣٦، الحديث ٢٥ وص ١٤١، الحديث٣٩.

ولعل هذا هو وجه الجمع بين الالتزام بالوقف على قوله تعالى: (...**وَمَا يَعْلَم تَأويله إلاّالله...**)[٣٦]، وبين قوله تعالى: (**لا يَمَسّه إلاّ المطهّرون**)[٣٧]. فالراسخون في العلم لا يعلمون التأويل الذي هو من الغيب بل يؤمنون به و (**يَقُولُونَ آمنّا به كُلٌّ من عندنا ربّنا...**)[٣٨]، ولكنهم في نفس الوقت يعلمون التأويل بتعليم الله تعالى لهم عندما يكونون من المطهرين كما أشار الى ذلك العلاّمة الطباطبائي نفسه.

فأهل البيت(عليهم السلام) يخصون بعلم (جميع) تفسير القرآن، وهذا الاختصاص أمر طبيعي بعد أن كان هذا الجانب من العلم من الأمور الغيبية التي علمهم الله ـ تعالى ـ إياها.

كما أنّهم في نفس الوقت يشاركون الناس، بل أهل المعرفة بالعلم بظواهر القرآن الكريم، بل هم أحد الضوابط والموازين المهمة في هذه المعرفة العامة للناس، وبهذا يمكن أيضاً أن نجمع بين روايات اختصاص تفسير القرآن بأهل البيت(عليهم السلام) وما ورد من الآيات والروايات التي تدلّ على أنّ القرآن ميسّر الفهم لجميع الناس. حيث يكون القرآن ميسّر الفهم طبقاً للضوابط العامة للغة التي يمكن للعلماء أن يعرفوها. ولكن في الوقت نفسه يكون هناك جانب من الاختصاص يرتبط بتطبيق مفاهيم القرآن على الأمور الغيبية وتفاصيل الشريعة وغيرها .

أوردنا فصل التأويل في فقرات بحثنا لاعتماد أدلته على الآيات المؤوّلة بالإمام المهدي(عليه السلام) وان كنّا في واقع الحال قد اعتمدنا منهج التطبيق بدل الاعتماد مطلقاً على التأويل الذي كان هو النهج السائد لدى من كتب عن الإمام المهدي في القرآن أي تطبيق الآية على الإمام المهدي ليكون عليه السلام أحد مصاديق الآية والفرق بين التأويل والتطبيق واضح من كون التأويل يعني الكشف عن القصد الإلهي وتعيين مصداقه في الخارج ويكون المصداق المشار إليه تأويلاً ويمثل أحد المصاديق التي تهدف إليها الآية الكريمة بمعونة قول المعصوم(عليه السلام).

أما التطبيق فيعني وجود قصد إلهي للآية ولكن بمفهومها العام إلاّ أنّ موضوعها في الخارج متغير; فإذا تحقق الموضوع في ظرف ما فيكون ذلك المصداق هو المقصود في الآية، فقوله تعالى: (**إذا جَاءَكُم فاسق بنبأ فتبيّنوا...**) لا تختص بالفرد الذي نزلت بحقّه فحسب، بل تتعداده الى كل فرد فاسق يأتي بنبأ، ونحن نسير في انتخابنا للآيات التي هي موضع صالح للتطبيق في الإمام المهدي ويمكن لغير المعصوم أن يطبقها في المورد الملائم.

---

(٣٦) آل عمران: ٧ .

(٣٧) آل عمران: ٧ .

(٣٨) الواقعة: ٧٩ .

الفصل الثالث
الإمامة في القرآن

إن مسألة المهدي في القرآن واندكاكها في بواطنه وأعماقه لا يمكن تناولها بمعزل عن أُمهات المسائل الأساسيه في العقيدة التي تعرض إليها القرآن واعتنى بها أيّما اعتناء كالتوحيد والنبوة والمعاد لعدم الفرق بينها، وهناك مسألة أُخرى وهي أنّ المهدي هو آخر سلسلة الأئمة المعصومين فتناوله في القرآن ـ يعني تناول الإمامة ـ ولما كانت النبوة هي الحركة التي تولت التغيير والتربية والاصلاح في مسيرة البشرية قبل الرسالة الخاتمة، تأتي فترة ما بعد النبوة ليتولى الإمام فيها عملية التغيير والاصلاح والسعي لتطبيق ما جاءت به الرسالة، وبهذا الفهم يمكن تعليل ومعرفة الدلالات والتطبيقات والإثارات التي تناولت مسؤوليات الأمة في هذه المرحلة والدور الذي يلعبه خط العصمة فيها، ثم الموقف من الآيات التي تناولت هذا الموضوع كآيات حتمية الظهور، وآيات الانتظار والآيات التي تحدثت عن طبيعة الصراع بين الحقّ والباطل الذي لم ينتهِ بعد، والمحطة الأخيرة التي ستنتهي إليها البشرية آخر التاريخ.

فانطلاقاً من هذه الجدلية والارتباط بين الإمامة والمهدي تدعو الحاجة الى تذليل الصعوبات وإزالة التشويش عن التفكير المهدوي في القرآن عبر تناول بعض الحقائق ذات الصلة بموضوع الإمامة وخطّها في القرآن، حتى إذا إكتشفنا حركتها في القرآن وتبلور مفهومها يتسنى لنا بعد ذلك أن نتناول المفردات القرآنية المتحركة ذات الصلة بموضوع المهدي التي تعرضت فيما بعد للتجميد والاقصاء والتشويه بفعل المناهج الدخيلة على الرسالة، وفيما يلي نلخص معنى الإمامة في القرآن ضمن عدد من النقاط:

النقطة الأُولى: العلم بالكتاب

من أهم المفردات التي يستخدمها القرآن حين يتعرض لعلم الأنبياء السابقين مفردة الكتاب والحكمة قال تعالى: **(وإذ أخذ الله ميثاقَ النبيّين لِما أتيتكم من كتاب وحكمة)**[٣٩] والظاهر انّه لا

---

(٣٩) آل عمران: ٨١ .

يقصد به خصوص العلم بالكتاب السماوي الذي ينزل على النبي بدليل قوله تعالى: (**وإذ علمّتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل**)[٤٠]، حيث يفهم من أنّ الكتاب غير التوراة والإنجيل.

ثم خُوطب النبي(صلى الله عليه وآله) بمثل هذا الخطاب، قال تعالى:

(**وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم**)[٤١].

كما لو لاحظنا آيات أُخرى تتحدث عن أشخاص أُوتوا الكتاب مع رسول الله، ولا يمكن أن تحمل على أن المقصود بها أن هؤلاء هم اليهود والنصارى، قال تعالى: (**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**)[٤٢].

وقوله تعالى: (**وَيَرى الّذينَ أُوتُوا العلم الّذي أنزل إليكَ مِن ربّكَ هُوَ الحقّ وَيَهدي الى صراط العزيز الحميد**)[٤٣]، وقوله تعالى: (**بَلْ هُوَ آيات بيّنات في صدور الّذينَ أوتوا العلم**)[٤٤]. وقوله تعالى: (**الرّاسخونَ في العلم**).

وعليه يمكن القول بأن عبارة الذين أُوتوا الكتاب لا يمكن حملها على اليهود والنصارى، ليكون المقصود بالكتاب التوراة والانجيل، كما أنّ إتيان الكتاب قد يكون للنبي وقد يكون للعصبة الأسرية.

قال تعالى: (**وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ* وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ* ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ* أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاَءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ**)[٤٥]، فلاحظ قوله (**وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ**) .

وأوضح من ذلك قوله تعالى: (**فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إبرَاهِيمَ الْكِتَبَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً**)[٤٦]. حيث صرّح بأن الإتيان لآل إبراهيم(عليهم السلام) .

بل إن القرآن يصرح بأن الكتاب لم يؤت لشخص الرسول فحسب بل لمجموع عبر عنهم بأنهم أُوتوا الكتاب، قال تعالى:

(**وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَـبَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هؤُلاَءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الْكَافِرُونَ* وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ* بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ**)[٤٧].

---

(٤٠) المائدة: ١١٠.

(٤١) النساء: ١١٣.

(٤٢) البقرة: ١٢١.

(٤٣) سبأ : ٦ .

(٤٤) العنكبوت: ٤٩.

(٤٥) الأنعام: ٨٦ ـ ٨٩ .

(٤٦) النساء: ٥٤ .

وقد قسمت الآية الناس الى:

(**فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَبَ**) ومدحتهم وبيّنت بأنهم كلّهم يؤمنون بالكتاب.

(**وَمِنْ هؤُلاءِ**) أي الناس المعاصرين فبعضهم يؤمن لا كلّهم.

(**الكافرون**) وهم اليهود والنصارى من أهل الكتاب والمشركون الذين قالت عنهم بأنهم يجحدون ولا يؤمنون.

وأما أن اعتبرت الذين آتيناهم الكتاب هنا اليهود والنصارى فهذا غير معقول، إذ يكون معناها حيئنذ أنّ اليهود والنصارى كلّهم يؤمنون بما أنزل على رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فبطلانه واضح.

إذاً، فالقرآن يثبت أن الكتاب قد يؤتاه النبي وحده، وقد يؤتاه النبي كقائد ورئيس لآله وقد يكونوا مثله أنبياء وقد لا يكونون.

النقطة الثانية معنى الاصطفاء

الاصطفاء: في معناه القرآني يتعلق بمجموعة من الناس بعد النبي، ولكن لا يعني اصطفاء هؤلاء للنبوة، بل لحمل الرسالة، وان الكتاب الذي أنزله على رسول الله(صلى الله عليه وآله) أورثه لهؤلاء الذين اصطفاهم (**وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَبِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ* ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَبَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**)[٤٨].

والآية تقسم الناس الى ثلاثة أقسام: الظالم لنفسه، والمقتصد والسابق بالخيرات، واللائق بالاصطفاء الإلهي لوراثة الكتاب ليس إلاّ القسم الثالث ممّن أشارت الآية إليهم بأنهم السابقين بالخيرات وهم يبينونه من بعد النبي(صلى الله عليه وآله).

وضمير منهم راجع الى عبادنا الأقرب للضمير في الآية (**الذين اصطفينا**).

وهذا يتّضح من خلال قوله تعالى: (**يا بني إسرائيل أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وانّي فضّلتكم على العالمين**)[٤٩]، فليس المقصود كل بني إسرائيل بالضرورة، ففيهم من عبد العجل وآذى الأنبياء حتى قال تعالى عنهم: (**أفكلّما جاءكم رسولٌ بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذّبتم وفريقاً تقتلون**)[٥٠]، وبهذا يتبيّن أن صرف قوله تعالى: (**فضّلتكم على العالمين**) الى بني إسرائيل قاطبة خطأ، وإنّما يتّضح الأمر بالرجوع الى قوله تعالى: (**وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكُلاً فضّلنا**

---

(٤٧) العنكبوت: ٤٧ ـ ٤٩ .

(٤٨) فاطر: ٣١ ـ ٣٢ .

(٤٩) البقرة: ٤٦ .

(٥٠) البقرة: ٨٧.

على العالمين)، فهم المفضلون لا كل بني إسرائيل فرداً فرداً، والذي جوّز وصف المجموع بأن الله تعالى اصطفاهم إنما هو وجود من اصطفاه الله في هذه الأمة وإلاّ لما صح هذا الوصف، ويدلّك على ما سبق قوله تعالى: (**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً وَآتَاكُم مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدَاً مِنَ الْعَالَمِينَ**)[٥١]، فهناك ذكر إن نعمة الله تفضيل بني إسرائيل وهنا صرّح بأن نعمة الله جعل الأنبياء فيهم بما فيه بيان تفصيلي للتفضيل.

لذا، فإنك إن رأيت أن (**الذينَ اصطفينا**) في آية المتن تعود للأمة كلّها وفق الظاهر فإنها تكون على نفس المنوال، بمعنى أنها أطلقت على المجموع بلحاظ من أنعم الله عليهم من أهل البيت(عليهم السلام)، الذين كان فضل الله عليهم عظيماً، فإطلاق العبارة على الأمة بملاحظة العصبة الخاصة فيها، كما عبر عن أمة بني إسرائيل بأنهم فضلوا على العالمين بملاحظة جعل الأنبياء منهم.

وتجد مثل هذا في قوله تعالى: (**كُنتُم خَيرَ أمّة أخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**) فلاشك أن المقصود بعض الأمة لقوله تعالى: (**ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**)، ولاشك إن منكم للتبعيض.

النقطة الثالثة: الشهداء بالكتاب بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله)

الشهادة على الأمة أحد أهم أدوار الأنبياء وهي أحد الأوصاف التي وصف بها القرآن الكريم خاتم الرسل: (**يا أيّها النّبي إنّا أرسلناك شاهدً ومبشراً ونذيرا* وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً**)[٥٢].

وقد وضّح القرآن الغاية من تلك الشهادة والتبشير والإنذار بقوله: (**لئلاّ يكونَ للنّاسَ على الله حجة بعد الرّسل**)[٥٣]، فيكون الرسول هو الحجة والشاهد.

ولكنك تجد في القرآن قوله تعالى: (**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**)[٥٤]، فكما وصف رسول الله(صلى الله عليه وآله)بالشاهد على الأمة; نراه يذكر شهداء على الناس غير رسول الله. وشهادة الرسول مقدمة بداهة فيتعين أن تكون شهادتهم بعده بل هي مستمدة من شهادة رسول الله(صلى الله عليه وآله)عليهم. فالآية تبرز موضوع الحجة والشهادة بعد رحيل خاتم الرسل.

---

(٥١) المائدة: ٢٠ .

(٥٢) الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦ .

(٥٣) النساء: ١٦٥ .

(٥٤) البقرة: ١٤٣.

وأهم آية تحدد معالم الشهداء بعد الرسول هي قوله تعالى: (**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**)[٥٥].

فالآية تتحدث عن الشهداء بعد الرسول وتصرح بوجود صفتين لهم:

الأولى: (**هو اجتباكم**)، وهي عبارة مرادفة للاصطفاء كما في قوله تعالى: (**ولكنَّ الله يجتبي من رسله من يشاء**)[٥٦]، فالاجتباء هنا بمعنى الاصطفاء.

الثانية: أنهم من ذرية إبراهيم(عليه السلام) (**ملّة أبيكُم إبراهيم**)، وبذلك يتّضح المقصودون بقوله تعالى: (**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً**) فقد ورد في الكافي عن بريد العجلي قال: سألت أبا عبدالله عن قول الله تعالى: (**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس**) فقال: «**نحن الأمة الوسطى، ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه**»[٥٧].

وكذلك هم المقصودون في قوله تعالى: (**كُنتم خير أمة أخرجت للناس**)[٥٨]، ولو لم يكن الأمر كذلك لما تم معنى الآية، إذ لو قصد كما يحاول البعض أن يوهم الناس بأن الشهادة هي للأمة جمعاء، لتضارب المعنى فيكون الناس شهداء على الناس، وهذا يخالف التقدم المفروض في رتبة الشهداء كونهم مجتبين مصطفين من قبل الله كالرسول والأوصياء.

وأما الادعاء بأن الجميع هم خير أمة فمخالف للوجودان وما نشاهده بالعيان، وإن قيل بأنهم جزء من الأمة تعين المصطفين السابقين بالخيرات الذين هم من آل إبراهيم بصريح القرآن إذ لم يُدّع اصطفاء غيرهم من البشر كحجج بعده(صلى الله عليه وآله) .

وكما بيّن القرآن تأوّل العلماء بالكتاب بيّن كذلك تأوّل الشهداء به وهما واحد هو علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وهذا صريح مدلول قوله تعالى: (**أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة**)[٥٩]. فمعنى قوله تعالى (**منه**) أنه من أهل بيته، كما نقل البخاري في صحيحه كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح... عن البراء أن رسول الله(صلى الله عليه وآله)**قال لعلي**(عليه السلام): «**أنتَ مني وأنا منك**»[٦٠].

---

(٥٥) الحج: ٧٨.

(٥٦) آل عمران: ١٧٩ .

(٥٧) أصول الكافي، للكليني ١:١٩٠ .

(٥٨) آل عمران: ١١٠.

(٥٩) هود: ١٧.

(٦٠) صحيح البخاري ٣:٢٤٢ .

فهو الشاهد الذي يتلو رسول الله أي يكون بعده، بل صريح الروايات الواردة في مصادر السنة أن المقصود به علي(عليه السلام)، قال السيوطي في الدر المنثور: «أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبونعيم في المعرفة عن علي بن أبي طالب(عليه السلام) قال: **ما من رجل من قريش إلاّ نزل فيه طائفة من القرآن** فقال له رجل: ما نزل فيك؟ قال: **أما تقرأ سورة هود: (أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه)، رسول الله على بيّنة من ربهوأنا شاهد منه**» انتهى كلام السيوطي[٦١]، ورواية ابن أبي حاتم وأبو نعيم عن عباد بن عبدالله عن علي(عليه السلام)[٦٢]، وأما رواية الطبري في تفسيره فعن عبدالله بن يحيى عنه(عليه السلام)[٦٣].

ولا نجد تفسيراً يتوافق مع ظاهر الآية غير هذا في مقابل تفاسير متكلفة لا تتناسب مع مفرداتها، فانظر الى الآراء الأُخرى التي عددها ابن الجوزي في تفسيره (زاد المسير) حيث قال:

«وفي المراد بالشاهد ثمانية أقوال:

أحدها: إنه جبريل، قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وإبراهيم في آخرين.

والثاني: إنه لسان رسول الله(صلى الله عليه وآله) الذي كان يتلو القرآن قال علي بن أبي طالب والحسين...

والثالث: إنه على بن أبي طالب و(يتلوه) بمعنى يتبعه رواه جماعة عن علي بن أبي طالب وبه قال محمد بن علي، وزيد بن علي.

والرابع: إنه رسول الله(صلى الله عليه وآله) هو شاهد من الله تعالى قاله الحسين ابن علي(عليه السلام) .

والخامس: إنه ملك يحفظه ويسدده قاله مجاهد.

والسادس: إنه الإنجيل يتلو القرآن بالتصديق وإن كان قد أنزل قبله لأن النبي(صلى الله عليه وآله) بشرت به التوراة.

والسابع: إنه القران ونظمه وإعجازه قاله الحسين بن الفضل.

والثامن: إنّه صورة رسول الله(صلى الله عليه وآله) ووجهه ومخايله لأن كل عاقل نظر إليه علم أنه رسول الله(صلى الله عليه وآله)[٦٤].

والحكم إليك أيها القارئ في تحديد التفسير المتوافق مع ظاهر الآية.

فما تريده الآية أن علياً(عليه السلام) شاهد من رسول الله(صلى الله عليه وآله) ويتلوه أي يعقبه ليقوم بدوره كهاد وحجة كما ورد عن الفريقين، والخصم يعلم بأن الظروف السياسية

---

(٦١) الدر المنثور، للسيوطي ٤:٤٠٩.

(٦٢) تفسير ابن أبي حاتم ٦:٢٠١.

(٦٣) تفسير الطبري ١٢:٢٢.

(٦٤) زاد المسير:

والمذهبية لصرف روايات الشهادة عن علي كانت متأتية لهم، ومع ذلك لم يتمكنوا من إخفائها كلها رغم سلطتهم ونفوذهم، ألا يمكن أن نفهم من ذلك كم كان الأمر جلياً.

النقطة الرابعة: الحكّام بالكتاب بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله)

قال تعالى: (**فلا وربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شَجَر بينهم**)[٦٥]، حيث تبيّن الآية إحدى وظائف الأنبياء وهي حكومتهم وإرادتهم لمجتمعاتهم.

بالنسبة الى خاتم الرسل(صلى الله عليه وآله)، وردت آيات تتحدث عن هذه الوظيفه للرسول بلفظة الأولوية، قال تعالى: (**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**)[٦٦]، وبمعناه قوله تعالى: (**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**)[٦٧]. وبلفظ الولاية قال عزّ وجل: (**وإنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا**)[٦٨].

فمن الواضح أن هذه الوظيفة تثبت للنبي حتى من دون حصوله الفعلي على مقاليد الأمور والحكومة الواقعية، وإن كانت الحكومة أجلى مصاديقها مع التمكن.

فرسول الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم وإن كان مطارداً كما حدث في مكة قبل الهجرة، وأولى منهم وإن كان مطارداً كما حدث في مكة قبل الهجرة، وأولى منهم وإن كان جيشه مهزوماً ورباعيته تنزف دماً، فكونه أولى من المؤمنين من جملة حقوقه، ومنها حقّ حكم المجتمع، لا أن ذلك الحقّ ثابت فقط عند نجاحه في السيطرة على السلطة السياسية.

ووظيفته كحاكم إنما هي وظيفة أساسية يحتاجها المجمع الإسلامي أثناء حياة الرسول وبعد وفاته، بل إن الصحابة أفرطوا في حماسهم بعد رحيل الرسول(صلى الله عليه وآله) الى الدرجة التي تركوا معها جثمان الرسول وذهبوا الى السقيفة لبحث هذا الأمر، فكيف يقال أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) لم يتحدث عن هذا الأمر المهم؟

وأما مصير هذه الوظيفه بعد الرسول فقد صرح القرآن بوجود أشخاص آخرين لهم نفس هذا الحق الذي كان لرسول الله في قومه تعالى: (**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**)[٦٩]، فالآية قد قرنت طاعة أولى الأمر بطاعته(صلى الله عليه وآله)، مما يشعر بثبوتها بنفس الكيفية الثابته لرسول الله(صلى الله عليه وآله).

---

(٦٥) النساء: ٦٥ .

(٦٦) الأحزاب: ٦ .

(٦٧) الأحزاب: ٣٦ .

(٦٨) المائدة: ٥٥ .

(٦٩) النساء: ٥٩ .

إذاً، فهناك عصبة من الشهداء والعلماء اصطفاهم الله تعالى، وقد ضم الله الى ذلك كلّه فضيلة أُخرى هي الحكم ليتم بها إكتمال أركان الحجة، فماذا كان موقف الناس من هذا الأمر بالطاعة.

لقد صرّح القرآن الكريم بأن الذين أُوتوا الملك العظيم ـ وهي عبارة أُخرى عن حق الحكمـ هم من قبيل آل إبراهيم في قوله تعالى: (**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً**)[٧٠]، وزاد فيه بيان موقف الناس منهم.

فالآية تتحدث عن فضل قوبل بالحسد، وعن جعل سماه هنا إيتاء، وعن شبيه للمتفضل عليهم هم آل إبراهيم... إذاً، فالآل هنا هم آل محمد(صلى الله عليه وآله)الذين حسدهم الناس.

والله تعالى يسألهم: لماذا تحسدون أُناساً آتاهم الله علم الكتاب والحكمة وآتاهم حقّ الحكم والملك، إلاّ لأنهم آل النبي(صلى الله عليه وآله) ؟

فلماذا وأنتم تعرفون من صريح آيات القرآن الكريم أن هذا الأمر له سابقة، إذ إننا آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة والملك العظيم، فلماذا الحسد لمن يستحق ذلك؟

ولو فهمت أيها القارئ الكريم هذه الآية على حقيقتها لأدركت علة المصائب التي مني بها بيت النبي(صلى الله عليه وآله)، فالحسد كان هو الأصل في هذا العناد الذي مورس ضد أهل البيت(عليهم السلام)، حتى وصل الأمر الى قتلهم وسبي نسائهم في جيل عاصره الصحابة بل شارك بعضهم ببعض فصوله.

أما لو أردنا أن نعرف من هم أوّل الحكام بالكتاب نجد القرآن بعد أن صرح أن هناك حكّاماً ورثوا الكتاب، بين للناس من هم هؤلاء من أجل أن يطيعوهم ويعملوا بمنهجهم فقال: (**إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاه ويؤتون الزكاة وهم راكعون**)[٧١].

قال السيوطي في (الدر المنثور): أخرج الخطيب في المتفق عن ابن عباس قال: تصدّق عليّ بخاتمه وهو راكع فقال النبي(صلى الله عليه وآله)للسائل: **من أعطاك هذا الخاتم؟** قال: ذاك الراكع فأنزل الله (**إنّما وليكم الله ورسوله**).

عن ابن عباس في قوله تعالى: (**إنّما وليكم الله ورسوله**).. الآيه نزلت في عليّ بن أبي طالب[٧٢]، قال ابن الجوزي : «وأذّن بلال بالصلاة، فخرج رسول الله(صلى الله عليه وآله)فإذا مسكين يسأل الناس، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «**هل أعطاك أحد شيئاً؟**» قال: نعم قال:

---

(٧٠) النساء: ٥٤.

(٧١) المائدة: ٥٥ .

(٧٢) الدر المنثور للسيوطي ١٠٤:٣٠ .

«**ماذا؟**» قال: خاتم فضة. قال: «**من أعطاكه؟**» قال: ذلك القائم، فإذا هو علي بن أبي طالب، أعطانيه وهو راكع، فقرأ رسول الله(صلى الله عليه وآله)هذه الآية[٧٣].

والأمر لا يحتاج الى التحقيق في سند الروايات لأن هناك إشعار واضح في الآية أن الحديث عن شخص ما وعن واقعة هي التصدق في حال الركوع، ولا يتوافق مع هذا الظاهر إلاّ المعروف من أن الحديث عن تصدق عليّ(عليه السلام)بالخاتم وهو راكع، فهو المقصود، وهو أوّل الحكّام، ويتناسب مع كونه هو أوّل العلماء بالكتاب وأوّل الشهداء .

وأخيراً تبيّن أنّ حملة الكتاب لا تعني اليهود والنصارى بل صنف من أمة الإسلام تشمل النبي وآله، ولا تشمل غيرهم وهكذا مفردة الاصطفاء التي تناولها القرآن فقد شملت النبي(صلى الله عليه وآله)ومجموعة أخرى تعينه بمن كانوا من السابقين بالخيرات وليس الظالمين ولا غيرهم وهذا ما يشير الى العصمة التي اختصوا فيها، والتي تعني أنهم لم يكونوا ظالمين مطلقاً، وكذلك مسألة الشهادة فالنبي وأهل بيته هم الشهداء على الناس جميعاً.

وقد تبيّن أن العلماء وحملة الكتاب والورثة بعد النبي هم أهل بيته المعصومون الذين اصطفاهم الله، ثم جعلهم الشهداء على الكتاب وأخبرهم بالكتاب بعد الرسول، وهذه الأمور تصدق على المهدي المنتظر بن الحسن خاتم المعصومين والعدل للقرآن والعارف فيه والشهيد عليه والحاكم به والوراث له والمطبق لأحكامه.

---

(٧٣) زاد المسير، لابن الجوزي ٢:٢٢٧.

الفصل الرابع
حتمية الظهور

سنتناول في هذا الفصل طائفة من الآيات التي تشير الى حتمية ظهور القائم من آل بيت محمد(صلى الله عليه وآله)والتي تشير بالوقت نفسه الى الغرض الإلهي من خلق البشرية الذي لم يتحقق في التاريخ ولازالت الأمة تترقبه، وأخيراً الإشارة الى الكيفية التي ستنتهي بها المعركة بين الحقّ والباطل والتي لم تضع أوزارها حتى الآن.

١ ـ **(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون)**[٧٤].

الآية تشير بأن الغاية من إيجاد البشرية والغرض الأساس لخلقها هو إيجاد العبادة الكاملة في ربوع البشرية ومعنى العبادة الكاملة تحقيق كل صورها من حيث إيجاد الفرد الكامل والمجتمع الصالح الذي يعيش مستوى العدل والاخلاص والتجرّد من كل شيء سوى عبادة الله تعالى، تلك العبادة التي تتضمن تربية الفرد والمجتمع والارتباط بكل شيء على مستوى العدل الإلهي، ومن ثم إيجاد الدولة العادلة التي تحكم المجتمع بالحقّ والعدل وبشريعة الله وتكون هي المسؤولة عن السير قدماً بالمجتمع والبشرية نحو زيادة في التكامل في الطريق الطويل غير المتناهي الخطوات، هذا هو خلاصة لمعنى العبادة في الآية الكريمة، وكل ما سوى ذلك فهو تقصير في العبادة الحقيقية تجاه الله سبحانه.

والآية تؤكد ما قدمناه من المعنى ذلك بقرينة وجود التعليل في قوله تعالى ليعبدون مع الحصر المستفاد من الآية من وقوع أداة الاستثناء (إلاّ) بعد النفي حين قال عزّ من قائل: **(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون)**.

وبهذا يتقرر الهدف الوحيد من خلقة البشرية الذي ينحصر بالعبادة وهو هدف ملحوظ ومخطط له بشكل خاص منذ بدء الخليقة ويبقى بطبيعة الحال مواكباً لها مادامت البشرية في الوجود.

وهذه العبادة لم تكن إلاّ لمصلحة العباد، لأن الله غني عن العالمين وبها تحصل البشرية على كمالها المنشود.

ومن المعروف أنّ العبادة بهذا التصوير لم تتحقق في التاريخ إذاً فهي من الآيات التي تشير الى حتمية ظهور الدولة العالمية بقيادة المعصوم المهدي بن الحسن(عليه السلام) .

---

(٧٤) الذاريات: ٥٦ .

٢ ـ قوله تعالى: (**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**)[٧٥].

وهذه من الآيات التي يمكن تطبيقها على دولة الإمام المهدي العالمية في آخر الزمان، لأن إظهار الدين الإسلامي وسيادته على كل الأديان وفي كل العالم لم يتحقق في التاريخ لحد الآن، ولمّا كان المولى صادق الوعد فلابد من إيجاد الظهور في التاريخ والروايات تشير الى هذا المعنى.

عن المقداد بن الأسود، قال سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: «**لا يبقى على ظهر الأرض بيت مَدَر ولا وَبَر إلاّ أدخله الله كلمة الإسلام يعز عزيز ويُذل ذليل، أما يُعزهم فيجعلهم من أهله أو يُذلهم فيدينون لهم**»[٧٦].

عن عائشة أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: «**لا يذهب الليل والنّهار حتى تُعبد اللات والعزّى**».

قالت عائشة فقلت: يا رسول الله، إنّي كنت أظن حين أنزل الله تبارك وتعالى: (**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**) انّ ذلك يكون تاماً؟

فقال(صلى الله عليه وآله): «**إنّه سيكون من بعد ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحاً طيبة، فيتوفى من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من خير، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين آبائهم**»[٧٧].

وعن تميم الذاري، قال: سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول:

«**ليبلُغنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنّهار، ولا يترك الله بيت مَدَر ولا وَبَر إلاّ أدخله هذا الدين، يُعزّ عزيز ويذلّ ذليل، عِزّاً يعزّ الله به الإسلام وأهله، وذُلاً يُذلّ به الكفر وأهله**»[٧٨].

وعن أبي ثعلبة الخشني قال: كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) إذا رجع من غزاة أو سفر، أتى المسجد فصلّى فيه ركعتين، ثم ثنّى بفاطمة رضي الله عنها، ثم يأتي أزواجه، فلمّا رجع [ذات مرّة] خرج من المسجد، فتلقّته فاطمة عند باب البيت، وأخذت تقبّله وتبكي، فقال:

«**يا بنيّة ما يُبكيك؟** قالت: **يا رسول الله ألا أراك شَعْثاً نصْباً قد اُخلولقت ثيابك؟** قال فقال لها: **لا تبكي فإنّ الله عزّ وجعل بعث أباك لأمر لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا شعر إلاّ أدخل الله به عزّاً أو ذلاً، حتى يبلغ حيث بلغ الليل والنّهار**»[٧٩].

---

(٧٥) التوبة: ٣٣ .

(٧٦) مجمع الزوائد ٦:١٤، ومستدرك الصحيحين ٤:٤٣٠ .

(٧٧) مستدرك الصحيحين ٤:٤٤٧، وقال حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٧٨) مجمع الزوائد ٦:١٤، قال: رواه أحمد والطبري ورجال أحمد رجال الصحيح، مستدرك الصحيحين ٤:٤٣٠، وقال: صحيح ووافقه الذهبي في التخليص.

(٧٩) مستدرك الصحيحين ٣:١٥٥، وقال: صحيح وتعقبه الذهبي مضعفاً له ولم يفعل شيئاً، لأن الأحاديث السابقة شاهدة على صحته.

ولما سألوا أبا هريرة عن تفسير قوله تعالى: (**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**)

قال: «**هذا وعدٌ من الله بأنه تعالى يجعل الإسلام عالياً على جميع الأديان**»(٨٠).

ولما سُئل السّدي عن تفسير الآية السابقة قال:

«**وذلك عندَ خروج المهديّ**»(٨١).

(**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**)

ثم سأل الحاضرين: «**هل ظهر الإسلام على الدين كلّه، بعد أن أرسل رسوله بالهُدى ودين الحقّ؟**» فقالوا: نعم! فقال لهم:

«**كلا فوالذي نفسي بيده، لا تبقى قرية إلاّ ينادى فيها بشهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله بكرةً وعشياً**»(٨٢).

وسألوا الإمام محمد الباقر(عليه السلام) عن تفسير الآية السابقة فقال:

«**إنّ ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمّد فلا يبقى أحد إلاّ أقرّ بمحمد**(صلى الله عليه وآله)».(٨٣)

وسأل المفضل بن عمر الإمام جعفراً الصادق(عليه السلام) عن تأويلها، بعد أن أخبره بأنّ بعض المسلمين يدّعون أن الإسلام قد ظهر على الأديان كلّها! فأجابه(صلى الله عليه وآله):

«**يا مفضل لو كان ظهر على الدين كلّه، ما كانت مجوسية ولا فرقة، ولا خِلاف، ولا شك، ولا شركٌ، ولا عبدةُ أصنام، ولا أوثان**».(٨٤)

وفي تفسير البرهان عن الصدوق بإسناده عن أبي بصير: قال أبوعبدالله(عليه السلام)في قوله عزّ وجل: (**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ**... الآية)**والله ما نزل تأويلها بعد ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم فإذا خرج القائم لم يبق كافر بالله ولا مشرك بالإمام إلاّ كره خروجه حتى لو كان الكافر في بطن صخرة قالت: يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله**».

وفي الدر المنثور: عن جابر في قوله: (**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**)قال: لا يكون ذلك حتى لا يبقى يهودي ولا نصراني صاحب ملّة إلاّ الإسلام حتى تأمن الشاة الذئب، والبقرة الأسد، والإنسان الحية، وحتى لا تقرض فأرة جراباً، وحتى يوضع الجزية ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، وذلك إذا نزل عيسى بن مريم(عليه السلام) .

---

(٨٠) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٦:٤٠.

(٨١) تفسير أبي الفتوح ٦:١٦ .

(٨٢) تأويل الآيات ٢:٦٨٩، ينابيع المودّة للحنفي القندوزي: ٤٢٣ .

(٨٣) تفسير العياشي ٢:٨٧ ح٥٠.

(٨٤) الهداية الكبرى: ٧٤ ـ ٨٢، البحار ٥٣ : ٤.

والمراد بوضع الجزية أن تصير متروكة لا حاجة إليها لعدم الموضوع بقرينة صدر الحديث، وما دلّت عليه هذه الروايات من عدم بقاء كفر ولا شرك يومئذ يؤيدها روايات أخرى، وهناك روايات أخرى تدل على وضع المهدي(عليه السلام)الجزية على أهل الكتاب بعد ظهوره.

وربّما أيّده قوله تعالى في أهل الكتاب: **(وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)**[٨٥]، **(فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)**[٨٦]، وما في معناه من الآيات فإنها لا تخلو من ظهور ما في بقائهم الى يوم القيامة إن لم تكن كناية عن ارتفاع المودة بينهم ارتفاعاً أبدياً.

٣ ـ **(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)**[٨٧]

لا نريد أن نخوض في بحث ماهو الزبور وما المقصود منه فيما إذا كان كتاب داود أو المراد به القرآن أو مطلق الكتب المنزّلة على الأنبياء بعد موسى.

كما لا نريد أن نخوض أيضاً في تفاصيل معنى الذكر فيما إذا كان المقصود منه القرآن لنقض هذا القول من كون الزبور جاء بعد الذكر فمرتبته متأخرة عنه فلا يصدق من كونه القرآن أو المقصود منه اللوح المحفوظ وما الى ذلك من آراء بل غرضنا أن فكرة الوراثة للأرض على أنها ستتم لعباد الله الصالحين وهذا ما ينسجم مع التفكير المهدوي القائل بأن الارادة والتخطيط الإلهي سينتهي بالمجتمع الفاضل وهذا التخطيط له عمقه التاريخي ولم يكن وليد التفكير الإسلامي وإنّما نجد بذوره الأولى مكتوبة منذ القدم في الذكر وفي الزبور، قال الإمام الصادق(عليه السلام): **«الزبور فيه ملأهم وتحميد وتمجيد ودعاء»**[٨٨]

نعم جاءت الرسالة الإسلامية لتؤكده وتجذره وتعمل من أجله.

تبقى مسألة وراثة الأرض وما المقصود منها؟

قال البعض بأن المقصود من الوراثة هنا وراثة أُخروية بمعنى أن المولى أعطانا وراثة الأرض التي تعني القرب من الله سبحانه وهذه المرتبة أي مرتبة القرب من الله معنوية، وقد حصلوا عليها في الحياة الدنيا فتكون هي السبب بأن يحصلوا على نعيم الآخرة، ولولا وراثتهم للأرض من جهة القرب لما حصلوا على الجنة، ويؤيده قوله تعالى حكاية عن أهل الجنة: **(وقالوا الحمدلله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنة حيث نشاء)**[٨٩].

وقال البعض لا يمكن حصرها بالوراثة الأُخروية ولا بالدنيوية وإنّما بالأثنتين معاً.

---

(٨٥) المائدة: ٦٤ .

(٨٦) المائدة: ١٤ .

(٨٧) الأنبياء: ١٠٥ .

(٨٨) بحار الأنوار ٤٧:٥١ .

(٨٩) الزمر: ٧٤ .

والرأي الثالث يقول بأنها وراثة دنيوية.

والمراد بها وراثة الأرض في الدنيا زمن ظهور الإمام المهدي(عليه السلام)والسيطرة على بركاتها وخيراتها من قبل الصالحين من عباد الله، الأمر الذي يستوجب تطهير الأرض من براثن الشرك والضلال والظلم والاستبداد وهذا لا يتم إلاّ بوجود المجتمع الصالح الذي لا يشوبه شرك وضلال وتتجسد فيه العبادة بكل صورها وهذا لم يتحقق على الأرض حتى الآن فعليه لابد من تحققه إنطلاقاً من هذه الحتمية الإلهية المترقبة الحدوث.

قال الإمام الصادق(عليه السلام): «**الصالحون، هم أصحاب المهدي**(عليه السلام)»[٩٠].

(٩٠) اثبات الهداة ٧:٥٠ و ٧:١٢٥.

الفصل الخامس
الظواهر في مرحلة الانتظار

في هذه الفقرة من البحث سنسلط الضوء فيها على الآيات التي تنطبق بدلالتها على مرحلة الانتظار وما يرافقها من تكاليف وما يسودها من قيم وظواهر تكون من سمات تلك الفترة العصيبة والتي تهيئ بالوقت نفسه الى مرحلة الظهور وتمنح الأمة وعياً بمصيرها الإسلامي.

١ ـ **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)**[٩١]

الصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى قيم عملية أراد المولى أن تتحرك الأمة بموجبها فجاء الأمر بها مطلقاً.

وأُريد بالصبر الصبر على الشدائد والصبر على الطاعة والصبر عن المعصية .

وأما المصابرة فأُريد بها التصبر وتحمل الأذى في الوسط الاجتماعي عن طريق التأثير فيما بين أفراده فالمجموعة التي تتحلى بالصبر وهو من سجاياها تؤثر بالمجموعة الأقل منها صبراً بمعنى أن القوي إيماناً يؤثر بالأقل منه وهذه العملية تؤدي الى شد أواصر المجتمع وتكامله.

والمرابطة وهي قيمة اجتماعية ذات اطار أوسع من المصابرة، فإذا كانت المصابرة عملية تأثير بين أفراد المجتمع وتوحيد إرادته وتختص في هذا المجال تأتي المرابطة كقيمة أخلاقية اجتماعية أوسع من المصابرة إذ تستهدف توحيد أفعال وقوى وطاقات الأمة بكل تفصيلاتها فتشمل كل شؤون حياتها و لا يقتصر موقفها على حالة الشدة. كما هو الحال في الصبر بل المرابطة حركة وسلوك يشمل حالة الشدة والرخاء معاً، كل ذلك من أجل دفع المجتمع نحو حركة مقصودة تعمر الدنيا من أجل السعادة في الآخرة إنطلاقاً من التقوى التي تعم فائدتها في الدارين.

وبهذا تكون المرابطة قيمة عالية تشمل حركة المجتع بكل صورها.

ولا تتم المرابطة بشكل منفصل عن عنصرها الرئيسي الذي يكون محوراً لحركتها ـ المعصوم(عليه السلام)ـ وإلاّ تبقى الأمة تتحرك بلا هدف أو بلا مقوم لحركتها وذلك لعجزها عن تحقيق الهداية بنفسها وليس بصحيح أن تتم المرابطة بشكل عفوي أو منفصلاً عن عنصرها الرئيسي الذي عينته الرسالة المتمثل في المعصوم من كونه السبب في توحيد

---

(٩١) النور: ٢٠٠ .

حركة الأمة وفعالياتها، وعليه فانّ الصبر لا يؤدي دوره ولا المصابرة هدفها ما لم ترتق الأمة الى مستوى المرابطة التي هي الأخرى لا تتحقق إلاّ بوجود العنصر المرتبط بالسماء أي المعصوم الذي تدور حركة الأمة حوله، لذا جاء في الرواية عن الإمام الصادق(عليه السلام): «**اصبروا على الفرائض وصابروا على المصائب ورابطوا على الأئمة**(عليهم السلام)». وهذا يعني أن الآية حية وتنطبق على المعصوم الحي المتجسد بالإمام المهدي(عليه السلام) وتشير الى تكليف الأمة في عصر الانتظار.

٢ - (قُلْ أَرَيتكم إنْ أتاكُم عذاب من الله أو اتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين)

الآية بصدد بيان موقف المشركين وتجديد الاحتجاج عليهم الذي يتصف بالاستمرارية طالما كانت ظاهرة الشرك مستمرة في حياة الإنسان وطبيعة الخطاب والحوار معهم يؤكد بطلان شركيتهم وعدم جداوها.

ثم تبين الآية بأن أصحاب تلك الظاهرة سيبدلون موقفهم هذا فيلجأون الى موقف معاكس موقف الراجي والداعي الذي يطلب من الله بأن يكشف عنه العذاب فهم يعترفون بسقوط اعتقادهم بعد مرورهم بظرف شديد.

ثم تكشف الآية عن استبطاناتهم النفسية وهم في ظرف الشدة حيث نراهم يتشبثون ويتعلقون بالوسائل التي يظنون أنها تنجيهم من العذاب المقدر عليهم وان فيها القدرة على ازالة المأساة التي هم فيها.

وبعد ذلك تسترسل الآية فتصور لنا طبيعة النتائج التي يتوصل إليها هؤلاء حين تعجز القوى التي ارتبطوا بها وظنّوا بوقت سابق أنها المنقذ من الضلال عن انقاذهم وهدايتهم، ويلاحظوا بأم أعينهم نفاذها وسقوطها لا في الخارج فحسب وإنّما في الوجدان أيضاً ويشاهدوا الأطروحات الشركية التي تدعي أنها الإله في الإرض محكومة بالفناء والانهيار شأنها شأن المخلوقات الطبيعية التي لا دوام لها ولا بقاء.

وهذه الأحداث والنتائج التي هي العمدة في الاستدلال ستحدث لا في الآخرة فحسب وإنّما ستتحقق في الحياة الدنيا، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على فعلية تلك القانونية التي تتصف بهذه الحتمية وآنهالا تحدث في عصر الظهور الذي لا شرك فيه وإنّما بمرحلة ما قبله التي تهيئ له بعد أن تستنفذ تلك القوى والأطروحات الظالمة قوتها وبريق شعاراتها وتخضع لراية الحق التي ستظهر آخر الزمان بقيادة الإمام المعصوم المهدي المنتظر الذي بَشر به صاحب الرسالة محمد(صلى الله عليه وآله). وهذه الآية يمكن تطبيقها على مرحلة ما قبل الظهور كما انّها من الآيات المؤوّلة بالإمام المهدي ودولته المرتقبة.

الفصل السادس
السنن الإلهية في مرحلة الانتظار

فإذا كانت الفقرة السابقة تكفلت ببيان طبيعة الظواهر التي هي من سمات مرحلة الانتظار، إذاً فما هي السنن الإلهية والقوانين الحاكمة التي تضمن لنا تحقيق الهدف الإلهي ودفع عجلة التاريخ الى الأمام حتى قيام دولة الحق بقيادة المعصوم؟ هذا ما سنتناوله في هذا الفصل ضمن عدد من الآيات:

١ - **(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)**[٩٢].

إرسال الأنبياء وتعيين الأوصياء كهداية للناس من السنن الإلهية الثابتة وتقريب الاستدلال على أن خط الهداية مستمر من خلال سلسلة المعصومين وآخرهم المهدي المنتظر يتم بالشكل التالي:

المتأمل في الآية يلاحظ فيها عدة أُمور منها: إنّه سبحانه جعل الردّ هنا الى الرسول والى أُولي الأمر مباشرة، من غير أن يكون لله ثم الى الرسول، كما في قوله تعالى: **(فان تنازعتم في شيء فردّوه الى الله والرسول)**والفرق بينهما أي بين الردّين واضح تبعاً لطبيعة الغاية.

فالردّ المذكور في التنازع هو ردّ الحكم الشرعي المتنازع فيه الذي يكون البت فيه لله ولرسوله لا الى الناس .

أما الرد المذكور في الآية موضع البحث فهو ردّ الخبر الشائع بين الناس سواء خبر الأمن أو الخوف ولا مبرر لردّه الى الله وكتابه. لأن موضوع الردّ هنا الظواهر الاجتماعية المتحركة وما يشوبها من ملابسات فينبغي أن يكون الردّ فيها آنيّاً وظرفياً كالملابسات التي تحدث في المعارك أثناء الكر والفر، كما أنه حكم على الظاهرة المتجددة وكشف عن خباياها، وهذا من مختصات الرسول وأُولي الأمر من بعده، فلو ردّ الأمر إليهم لأمكنهم أن يستنبطوا الجواب ويذكروا للسائلين صحة الأمر أو القول بضعفه أو كذبه أو صدقه.

والرسول وأُولي الأمر قد حصلوا على العلم الممنوح منه سبحانه والعلم بهذا المعنى يستطيع المعصوم بواسطته أن يميز بين الحق والباطل والصدق من الكذب **(ليعلم الله من يخافه بالغيب)**وبه يحيط المعصوم على الموضوعات فهو علمٌ ليس بكسبي ليتأثر بالبيئة ومتغيراتها

---

(٩٢) النساء: ٨٣ .

ثم لهؤلاء الموهوبين القدرة في أن يستنبطوا القول ويستخرجوا من حال الإبهام الى مرحلة الوضوح والتمييز وهؤلاء هم أهل البيت(عليهم السلام) .

وعليه فان الأمة التي تجعل أئمة أهل البيت مرجعاً لمعرفة شؤون حياتها ستحصل بالنتيجة على الهداية ثم على الحقائق التي تتلبس بها الظواهر فتشوش على الأمة ماهو المقصود منها.

أما إذا تخلت الأمة عن أهل البيت واعتمدت على إمكانياتها وقابلياتها وخيراتها فلا تحصل على شيء من الخارج وإنّما ستحصل على شيء هو من عندها.

وبما أنها أمة تحتاج الى من يهديها، إذاً فلا تحصل على الهداية بنفسها وتبقى رهن الفتن والضلالات.

هذا إذا قلنا وكما هو ثابت بأن أولي الأمر هم أهل البيت(عليهم السلام) .

أما القول بأن أولي الأمر هم أمراء السرايا، فإن هؤلاء لم يكن لهم شأن إلاّ الإمارة على سرية في واقعة خاصة لا تتجاوزها خبرتهم ودائرة عملهم، وأمثال ما هو مورد الآية، وهو الإخلال بالأمن، وإيجاد الخوف والوحشة العامة، التي كان يتوسل إليها المشركون ببعث العيون وإرسال الرسل السرية الذين يذيعون من الأخبار ما يخذلون به المؤمنين، فلا شأن لأمراء السرايا في ذلك حتى يمكنهم أن يبيّنوا وجه الحق فيه للناس إذا سألوهم عن أمثال تلك الأخبار.

وأما القول بأن أولي الأمر هم العلماء فعدم مناسبته للآية لا يحتاج الى مزيد من العناء، إذ العلماء ـ وهم يومئذ المحدثون والفقهاء والقرّاء والمتكلمون في أصول الدين ـ وتختص خبرتهم في الفقه والحديث ونحو ذلك، أما مورد قوله تعالى: (**وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف**)، فهو مورد الأخبار التي لها جذور سياسية وترتبط بمعادلات مختلفة، فقد يؤدي قبولها أو ردّها أو إهمالها الى مفاسد اجتماعية أو سياسية بالغة من العسير أن تصلح وقد يكون رأي هؤلاء ممّا يؤدي الى انحراف الأمة وبطلان مساعيها فالعلماء المحدثون بهذه الدول أو قراء لا خبرة لهم خارج تلك العلوم فلا يمكن أن يأمر الله بارجاع الأمة حين نصبها المشاكل الى ناس لا علم لهم بها.

وأما القول بأن أولي الأمر هم الخلفاء الراشدون أعني أبا بكر، وعمر، وعثمان وعلياً، فمع كونه لا دليل عليه من كتاب أو سنّة قطعية، يرد عليه أن حكم الآية إما مختص بزمان النبي(صلى الله عليه وآله) أو عام يشمله وما بعده، وعلى الأوّل كان من اللازم أن يكونوا معروفين بهذا الشأن بما أنهم هؤلاء الأربعة من بين الناس ومن بين الصحابة خاصة، والحديث والتاريخ لا يضبطان لهم بخصوصهم شأناً من هذا القبيل، وعلى الثاني كان لازمه انقطاع

حكم الآية بانقطاع زمان حياتهم، وكان لازمه أن تتصدى الآية لبيان ذلك، كما في جميع الأحكام الخاصة بشطر من الزمان المذكورة في القرآن كالأحكام الخاصة بالنبي(صلى الله عليه وآله)منهم.

كما يؤاخذ على هذا الرأي أيضاً أن النبي(صلى الله عليه وآله) كان يجمع في مشاورته المؤمنين والمنافقين كعبد الله بن أبي وأصحابه، وحديث مشاورته يوم أحد معروف، وكيف يمكن أن يأمر الله سبحانه بالرد الى أمثاله.

وهذه الآيات المسرودة في ذمّ ضعفاء المؤمنين وتعييرهم على ما وقع منهم إنما ابتدأت به وبأصحابه أعنى قوله تعالى: (**ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا**... الآيات).

وإذ كان الأمر على هذه الوتيرة، فكيف يمكن أن يؤمر في الآية بإرجاع الأمر وردّه الى مثل هؤلاء؟

فلا يبقى إلاّ القول بأن أولي الأمر هم ما رجّح في قوله تعالى: (**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**...).

وإذا ثبت أن أولي الأمر هم المقصودون في الآية المذكورة يتعيّن أن مرجعيتهم في شون الحياة ثابتة بعد الرسول، ولما كان القرآن يخاطب الأمة على طول التاريخ فتكون عملية الردّ مستمرة مازالت الأمة باقية.

ولا تكون مستمرة إلاّ بوجود المعصوم حياً بين الناس وهذا ينطبق مع معتقدنا بأن المهدي هو آخر الأئمة المعصومين الحجة بن الحسن العسكري وهو حيٌّ يرزق ويمارس نشاطه في هداية الناس، ويستمر في الحياة حتى ظهور وإقامة الحق على يديه .

٢ ـ (**فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هؤُلاَءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ**)[٩٣]

فان يكفر بها أي بالهداية أو النبوّة أو الطريقة، وهؤلاء الكافرين هم قوم النبي الذين كفروا بالدعوة الإسلامية.

فسوف يوكّل الله بها قوماً من صفاتهم أنّهم لم يكفروا بالطريقة والهداية التي جاء بها النبي(صلى الله عليه وآله)ولما ذكرهم القرآن بلفظ نكرة (قوماً) دلالة على أن مهمتهم كبيرة وخطرهم عظيم; ولذا اختلف فيهم المفسرون فمن قال إنّهم الأنبياء ويُردّ على هذا القول: إنّ سياق اللفظ لا يلائمه إذا ظاهر قوله ليسوا بها بكافرين نفي الحال أو الاستمرار في النفي، والمذكورون من الأنبياء(عليهم السلام)لم يكونوا موجودين في حال الخطاب، ولو كان المراد منهم الأنبياء المذكورون لكان المتعبون أن يقال: (لم يكونوا بها بكافرين وليس رسول الله

---

(٩٣) الأنعام: ٨٩ .

معدوداً منهم بحسب العناية، وإن كان هو منهم بل وأفضلهم وذلك لأن الله قد أفرده عنهم، إذ قال: (**أولئِكَ الذين هَدى الله فبهُداهم اقتده**).

وأما القول بأنهم الملائكة فالسياق لا يناسبه أيضاً إذ السياق كان نوعاً من التسلية للنبي، ولا معنى لتسليته حين يكفر قومه بإيمان الملائكة.

وأما القول بأنهم المؤمنون عند نزول السورة في مكة أو مطلق المهاجرين، وهذا ليس بصحيح، لأن بعض هؤلاء قد ارتدّ بعد الإيمان، وقال سأنزل مثل ما أنزل الله وفيهم المنافق وفيهم من آذى النبي(صلى الله عليه وآله).

إذاً فلا ينطبق على قوله تعالى: (**لَيْسُوا بها بكافرينَ**).

ومنهم من يذهب الى أن المراد بالقوم هم المؤمنون من أُمة محمد(صلى الله عليه وآله)أو المؤمنون من جميع الأُمم. وفيه: إنه يرد عليه ما أورد على ما قبله من الوجوه. نعم يمكن أن يوجّه بأن المراد بهم نفوس من هذه الأُمة أو من جميع الأُمم يؤمن بالله إيماناً لا يعقبه كفر مادامت تعيش في الدنيا فهؤلاء قوم مؤمنون وليسوا بها بكافرين وإن لم يمتنع الكفر عليهم لكن دوامهم على الإيمان بدعوة التوحيد من غير كفر أو نفاق يستدعي صدق قوله: (**قوماً ليسوا بها بكافرين**)عليهم ويتم به معنى الآية في أنها مسوقة لتسلية النبي(صلى الله عليه وآله)وتطييب قلبه الشريف إذ كان يحزنه كفر المشركين من قومه واستكبارهم عن إجابة دعوة الحق والإيمان بالله وآياته، وفي أنها دالة على اعتزازه تعالى بحفظ هدايته وطريقته التي أكرم بها عباده المكرمين وأنبياءه المقربين.

لكن يتوجه الى أ بناء هذا الوجه على قضية اتفاقية وهي إيمان المؤمنين بها إيماناً يتفق أن يبقى سليماً من الزوال من غير ضامن يضمن بقاءه، ولا يلائمه قوله تعالى: (**وَكّلنا بها**) فإن التوكيل يفيد معنى الاعتماد ويتضمن معنى الحفظ والكلاءة، ولا وجه للاعتزاز والمباهاة بأمر لا ضامن لثباته ولا حافظ لاستقراره وبقاءه.

على أن الله سبحانه يذم كثيراً من الإيمان إذ يقول: (**وَمَا يُؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون**)[٩٤] وهذه الآيات إنما تصف التوحيد الفطري المحض والهداية الإلهية الطاهرة النقية الخالية عن شوب الشرك والظلم، التي أكرم الله بها خليله إبراهيم ومن قبله وبعده من الأنبياء المكرمين(عليهم السلام) ،كما يذكره إبراهيم (عليه السلام) في قوله على ما يحكيه الله سبحانه عنه: (**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**)[٩٥]، فالهداية الى هذا شأنها لا يعد كل لبس بالإيمان حافظاً لها موكلاً بها من الله يحفظها الله به من الضيعة والفساد وفيهم

---

(٩٤) النساء: ١٣٣ .

(٩٥) الأنعام: ٨٢.

الطغاة والبغاة والفراعنة والمستكبرون والجفاة الظلمة وأهل البدع متوغلون في الفجور وأنواع الفحشاء والفسق.

والذي ينبغي أن يقال في معنى الآية أعنى قوله: (**فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكّلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين**) إن الآيات لما كانت تصف التوحيد الفطري بالهداية الإلهية الطاهرة من شوب الشرك بالله سبحانه، وتذكر أن الله سبحانه أراد بهذه الهداية سلسلة متصلة متحدة من أنبيائه واصطفاهم بها ذرية بعضها من بعض واجتباهم وهداهم الى صراط مستقيم لا ضلال فيه وآتاهم الكتاب والحكم والنبوة.

ثم فرع على ذلك قوله تعالى: (**فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكّلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين**)وسياقه سياق اعتزاز منه تعالى تسلية للنبي(صلى الله عليه وآله) وتطييب لنفسه لئلا يصيبها الحزن ويفسخ عزيمته في الدعوة الدينية ما يشاهده من كفر قومه واستكبارهم وعمههم في طغيانهم فمعناه أن لا تحزن بما تراه من كفرهم بهذه الهداية الإلهية والطريقة التي تشتمل عليها الكتاب والحكم والنبوة التي آتيناها هؤلاء المهديين من الأنبياء الكرام فإنا قد وكّلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين فلا تتعرض للضيعة والزوال الى هذه الهداية الإلهية لأنا وكّلناهم بها واعتمدنا عليهم فلابد أن يكونوا غير كافرين بها البتة.

فهؤلاء قوم لا يتصوّر في حقّهم كفر ولا يدخل في قلوبهم شرك لأن الله اعتمد عليهم فيها، وحفظها بهم ولو جاز عليهم الشرك وأمكن فيهم لكان الاعتماد عليهم فيها خطأ وضلالاً والله سبحانه لا يضل ولا ينسى.

فالآية تدل ـ والله أعلم ـ على أنّ لله سبحانه في كل زمان عبداً أو عباداً موكلين بالهداية الإلهية والطريقة المستقيمة التي يتضمنها ما آتاه أنبياءه من الكتاب والحكم والنبوة يحفظ الله بهم دينه عن الزوال وهدايته عن الانقراض، لا سبيل للشرك والظلم إليهم لاعتصامهم بعصمة إلهية فهم أهل العصمة من الأنبياء الكرام وأوصياؤهم(عليهم السلام) .

فالآية خاصة بأهل العصمة وقصارى ما يمكن أن يتوسع به أن يلحق بهم الصالحون من المؤمنين ممن اعتصم بعصمة التقوى والصلاح ومحض الإيمان عن الشرك والظلم، وخرج بذلك عن ولاية الشيطان، قال تعالى: (**إنّه ليسَ لهُ سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون**)[٩٦] إنّ صدق عليهم أنّ الله وكّلهم بها واعتمد عليهم فيها.

وبهذا تثبت الآية بأنّ خطّ التوحيد والحق والإسلام دائم ومستمر وفقاً لهذه الحتمية التي تستلزم دوام خط العصمة الذي لا يشوبه كفرٌ ولا طغيان ولا دنس وبه يحقق الله المجتمع الفاضل الذي تسوده العدالة في ظل قيادة المعصوم وممّن يلتحق به من المؤمنين الصالحين.

---

(٩٦) النحل: ٩٩ .

٣ ـ **(وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ ا لْكَافِرِينَ)**[٩٧].

ومعرفة معناها يتوقف على معرفة بعض ألفاظها، فمردة التمحيص تعني تخليص الشيء من الشوائب الخارجة، ومعنى المحق إنفاذ الشيء تدريجياً وإزالته شيئاً فشيئاً.

بعد أن إتّضح معنى التمحيص والمحق، نقول أنّ التمحيص يؤدي الى تمييز المؤمن من الكافر ثم الى تخليص الإيمان من شوائب الكفر والنفاق.

من هنا نجد أنّ المحق اختص بالكافرين والتمحيص اختص بالمؤمنين.

فالله سبحانه عن طريق سنّة التمحيص الذي يحدث بحكم تداول الأيام تسقط وتزول شوائب الكفر والظلم من المؤمن شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى مع الإيمان كفر قط، فيكون خالصاً لله.

وقد يتخذ بعداً اجتماعياً أيضاً (حتى تكون الأمة سفساطين: سفساط إيمان لا كفر فيه، وسفساط كفر لا إيمان فيه).

ثم يبدأ الله سبحانه عبر المحق إزالة أجزاء الكفر والشرك من الكافر شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى منه شيء بمعنى يتلاشى ويذوب.

وهذه العملية القانونية أو قل السنّة التي يتعرض لها خط الإيمان وخط الكفر على حد سواء تتم عبر تداول الأيام أي مرة نجد الدولة بيد الظالمين ثم تتنقل لتكون بيد المؤمنين .

قال الإمام الصادق(عليه السلام): «**للحق دولة وللباطل دولة وكلاهما ذليل في دولة صاحبه**» حتى يتلاشى الكفر وتنتصر دولة الحق، وهذه الآية يمكن تطبيقها فتكون المقصودة هي دولة الإمام المهدي وأصحابه بيد الإمام المهدي(عليه السلام)وأصحابه آخر الزمان.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «**إنّ علي بن أبي طالب**-(عليه السلام)- **إمام أمتي وخليفتي عليها من بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق بشيراً إن الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر، فقام إليه جابربن عبدالله الأنصاري فقال: يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة؟ قال: إي وربّي: (وليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين)، يا جابر! إنّ هذا الأمر[أمر] من أمر الله وسرّ من سرّ الله، مطويّ عن عباد الله، فإياك والشك فيه فإنّ الشك في أمر الله عزّ وجل كفر**»[٩٨] .

٤ ـ **(يَـأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّة عَلَى ا لْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّة عَلَى ا لْكَـفِرِينَ يُجَـهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَيَخَافُونَ لَوْمَة لائم...)**[٩٩]

الآية تشير الى أمر خطير سيحدث في المستقبل والإخبار به شأن الإخبارات الأخرى التي تتحدث عنها الروايات في آخر الزمان مثل الاختلاف، والفرقة، ستختلف أمتي الى... ثم

---

(٩٧) آل عمران: ١٤١ .

(٩٨) كمال الدين ١:٢٨٧ ح٧، ينابيع المودة ٣:٣٨٧، ح١٨، تفسير نور الثقلين.

(٩٩) المائدة: ٥٤ .

تبنّيها الحكم بغير ما أنزل الله وارتباطها مع الكفار وأهل الكتاب، هكذا يأتي الإخبار عن الارتداد ـ الذي يعني الرجوع عن الدين وموالاة أعداء الله لا الردّة بمعناها المصطلح ـ الذي لم يتحقق في عصر النزول وأنبأت به الآية فهو إذاً يخص مرحلة ما قبل الظهور وتمكين أهل الحق ووراثتهم الأرض، كما أن حدث الارتداد ليس من الأحداث الطارئة الشبيهة بالحوادث الكونية كالتي تتحدث عنها علامات الظهور مثل الخسف بالبيداء والصيحة في السماء، وإنّما هذا الأمر من الأحداث التي تخضع لسير المجتمع ودور السنن الإلهية فيه الخاصة بالظواهر الاجتماعية التي لا تتشكل إلاّ بعد وجود مقدماتها وتحققها فاذا حدث الارتداد في حياة الأمة فهذا يعني أن شروط الارتداد قد تحققت.

ومفهوم الآية يشير الى أخلاق القوم المرتدين بأنهم لا يحبون الله وهم أذلاّء للكفار وأعزّة على المؤمنين، وتتحكم بهم الظروف وتلونها، وليس لهم قيم ثابتة لذا يتأثرون بكلام الناس ويتخوفون

لائمتهم ويقدمونها على القيم الإسلامية الثابتة، ويُفهم من الآية أن الارتداد في حياة الأمة يكون طارئاً لا دوام له ولا استمرار بسبب كونه يعارض الهدف والغاية الحتمية التي خلق من أجلها الإنسان والشيء المهم أن هذه السنة تقرر بأن الحق مستمر وبمجرد حدوث الارتداد سيعقبه الاستبدال فقوله تعالى من يرتد منكم عن دينه... إشارة الى سنة الاستبدال التي لا تتبدل وهي من الثوابت ـ ولن تجد لسنّة الله تبديلا ـ .

إذاً فلا زوال ولا اضمحلال لهذه السنة ثم أنها لا تتحقق بوجود أفراد متفرقين هنا وهناك بل لابد أن يشكل الارتداد ظاهرة اجتماعية في حياة الأمة، ويستفاد من الآية أيضاً بأن الأصالة والحتمية والبقاء لهؤلاء القوم الذين يقاتلون في الصف الإلهي وأن الغلبة والنصر سيكون لصالحهم في نهاية المسيرة البشرية كما ينبغي الالتفات الى مسألة وهي أن استمرارية الحق يصدق بوجود أفراد يحملون الرسالة ويجاهدون من أجلها هذا من جهة ومن جهة اخرى أن الاستبدال لا ينحصر بالاطار الفردي ليرتد هذا الفرد مثلاً فيستبدله الله بفرد آخر، وإنما الآية تتحدث باطار القوم والجماعة وبتعبير آخر الآية بصدد بيان السنن الاجتماعية لا السنن الفردية، ولما لم ترتد الأمة كأمة عن إسلامها أثناء عصر النزول ولا أقصد كما قلت كأفراد وإنّما كجماعة فلابد أن ترتد في وقت لاحق.

بالإضافة الى أن الآيات والروايات تشير الى أن الاستخلاف والتمكين للمؤمنين سيكون آخر الزمان فعليه فإنّ الآية لا تتحدث عن عصر النزول ولا عن عصر ما قبل التمكين وإنما تخبر عن ظاهرة ستقع ما بين العصرين ولما كان الحديث ينصب على حياة الأمة لا حياة الأفراد فقد يبدأ الارتداد ما بعد النبي(صلى الله عليه وآله) صغيراً ثم يتضاعف تدريجياً حتى يستحكم آخر الأمر فيكون مطلقاً قبل الظهور بفترة وهذا لا يلغي وجود أفراد بين الأمة قد

تمسكوا بالحق وان كانوا قليل، والمسألة تجري مجرى قوله تعالى: (**وقال الرّسول يارب إن قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً**) فلا يفهم منه بأن الأمة الإسلامية قد هجرت القرآن حين نزوله.

وأخيراً فإن سنة الاستبدال حافظة للأمة من الذوبان والسقوط الكامل وتقوم من جهة بتزويد الأمة بالوعي لأجل أن تتدارك ما يصيبها من انحراف عن طريق هذا التشبيه السنني وإيجاد علاقة مع الله قائمة على المحبة والتضحية من أجل القيم التي تقرب العبد الى محبوبه.

والمولى يعطي الرسالة نهاية الأمر لهؤلاء الذي توفرت فيهم الشروط فإن يكفر بها هؤلاء المؤمنون فيما بعد فسوف يوكّلها الله لقوم غيرهم وهؤلاء الوارثين لم يدخل الكفر في حياتهم (**فان يكفر بها هؤلاء فقد وكّلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين**).

وإذا أردنا تطبيق الآية على مصداقها يمكن الاستفادة من قول الإمام الصادق: «**إن لصاحب هذا الأمر** ـ يقصد المهدي المنتظر ـ **محفوظ له لو ذهب الناس جميعاً أتى الله بأصحابه**».

وهم القوم الذين يحبهم الله ويحبّونه.

وقال(عليه السلام): «**وهم الذين قال الله عزّ وجل: (فان يكفر بها هؤلاء فقد وكّلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين**).

عن سليمان بن هارون قال: قلت له: إنّ بعض هذه العجلة يزعمون أنّ سيف رسول الله(صلى الله عليه وآله)عند عبدالله بن الحسن، فقال: «**والله ما رآه هؤلاء ولا أبوه بواحدة من عينيه، إلاّ أن يكون أراه أبوه عند الحسين**(عليه السلام)، **وان صاحب هذا الأمر محفوظ له، فلا تذهبنّ يميناً وشمالاً، فإن الأمر والله واضح، والله لو أن أهل السماء والأرض اجتمعوا على أن يحوّلوا هذا الأمر من مواضعه الذي وضعه الله فيه ما استطاعوا، ولو أنّ الناس كفروا جميعاً حتى لا يبقى أحد لجاء الله لهذا الأمر بأهل يكونون من أهله، ثم** قال: **أما تسمع ا يقول: (يَـاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّة عَلَى ا لْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّة عَلَى ا لْكَافِرِينَ)**[١٠٠]

حتى فرغ من الآية وقال في آية أُخرى: (**فانّ يكفر بها هؤلاء فقد وكّلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين**) ثم قال: **إنّ هذه الآية هم أهل تلك الآية**»[١٠١] .

الفصل السابع
الدولة الإسلامية والمجتمع الفاضل

---

(١٠٠) المائدة: ٥٤ .

(١٠١) تفسير العياشي ١:٣٢٦ ، بحار الأنوار ٢٧:٤٩، باب ١٧ حديث ١، وفيه العجيلة يقولون .

ثبت من خلال استعراضنا للآيات والنتائج التي انتهينا إليها بأنّ دولة الحقّ العالمية ستتحقق في التاريخ بشكل حتمي حسب الوعد الإلهي.

وتناول القرآن الكريم طبيعة ما يسود مرحلة الانتظار من ظواهر اجتماعية وإيمانية ثم بيّن السنن الحاكمة في حياة البشرية التي تكفل بتحقيق تلك الدولة والقاضية بحتميتها عبر مرور الأمة بمرحلة الانتظار.

وأخيراً بقيت مسألة صفات تلك الدولة والظواهر التي تنتجها لنا وبالتالي بيان سمات المجتمع الذي يعطي لنا الدولة الرشيدة. وبيان ذلك سيتم عبر عدد من الآيات:

١ ـ **(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)**[١٠٢].

الآية مدنية نزلت بعد الهجرة وهذا يعني أنها تخبر عن أمر سيتحقق في المستقبل، وأنّ دولة النبي في المدينة لم تكن هي المقصودة في هذه الآية، ولابد من وجود مجتمع آخر ودولة أخرى تتسع لتشمل كل الأرض، لا في بقعة منها فالوعد الإلهي خطابه عام للأمة المسلمة بما فيها المؤمن والفاسق، وقد تضمن الخطاب جملة من الأمور منها بأنّه سبحانه سيجعل للمؤمنين مجتمعاً صالحاً .

ومنها انّه سيجعلهم خلفاء في الأرض ويجعل دينهم ظاهراً ومتمكناً على غيره يطرد أمامه كل ضعيف .

ومنها بأنّ المرحلة التي يسودها الخوف أو أن الأمة التي تمر في ظرف الخوف ستعقبها مرحلة الأمن وأخيراً ستتحقق العبادة بكل صورها ذاتياً وموضوعياً أي يتم طرد الشرك في الذات، والخارج المتمثل في الطغيان، فلا مكان في هذا المجتمع للشرك ولا الكفر .

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الصدد هل أن المجتمع الصالح والدولة الرشيدة ومظاهر الإيمان الأخرى قد تحققت في التاريخ أم لم تتحقق؟ وهل يمكن القول بأن الآية تعني بذلك مجتمع الرسول في المدينة؟ أم حكم الخلافة الذي عقب دولة الرسول(صلى الله عليه وآله) أو غير ذلك؟

ثم إن الآية تشير الى أمر لم يتحقق بعد وهل هي من الآيات التي تخبر بالملاحم التي ستحدث في المستقبل؟ فالإجابة على هذه التسؤالات وغيرها يدعونا الى تناول جملة من النقاط.

---

(١٠٢) النور: ٥٦ .

١ ـ الاستخلاف

ما المقصود بالاستخلاف فهل يعني استخلاف الأمة الإسلامية الشبيه باستخلاف الماضين من عباد الله الصالحين أم هو استخلافٌ آخر؟

قال البعض بأنّه استخلاف من قبيل استخلاف الماضين، مثل (**إنّي جاعلك في الأرض خليفة**)وقوله: (**يا داود إنّا جعلناكَ خَليفة**)وقوله: (**وَوَرِثَ سُليمانُ داودَ**) فيكون المراد بالذين قبلهم هم هؤلاء الأنبياء والأولياء لا أكثر.

وقال آخرون بأنّ المعني بالاستخلاف هو استخلاف أمة وقوم بعد موت أمة وانقراضها فالاستخلاف هنا استخلاف سلطة تتداولها الأمم من قبيل (**إنَّ الأرْضَ لِلّهِ يُورثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**)[١٠٣]. وقوله تعالى: (**أنَّ الأرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**)[١٠٤].

ويُرد على هذا بأنّ هؤلاء الذين استخلفهم الله في الأرض ومكّنهم من عدوّهم بعد موته ارتدّوا فيما بعد وقست قلوبهم فلا تصدق الوراثة هنا بشكلها المطلق وإنّما هي وراثة نسبية .

٢ ـ التمكين

المقصود من التمكين في اللغة، هو تمكين الشيء أي إقراره في مكان وهو كناية عن ثبات الشيء من غير زوال أو اضطراب أو تزلزل بحيث يكون هذا الذي تمكّن يؤثر أثراً قوياً يزيح أمامه كل عقبة ولا يقف أمامه كل حاجز.

ومعنى تمكّن الدين أي أن الأمة تعمل بمقتضى الدين بمحض رغبتها بحيث يكون هو الحاكم في حياتهما وتتجسد مبادؤه في حركتها و تتشكل مظاهرها بايحاء منه أو بأوامره الصريحة حتى لو أنّ الإنسان في حياة الأمة لم يعثر على دبيب كفر في باطنها، فالأمة راضية سعيدة في دينها فلا تخاصم و لانزاع في أمر دينها مطلقاً.

والدين الذي تتبناه الأمة وترتضيه هو الإسلام حتى سماه المولى سبحانه دينهم لأنهم تبنّوه بالفطرة.

ولو راجعت التاريخ لم تجد الدين قد تمكّن في حياة الأمة بهذا المعنى، نعم الآية تنبئ عن إنتصار الدين بقيادة المهدي(عليه السلام)كما سيأتي.

٣ ـ التبديل

الأمة وهي تسير في حركتها نحو الكمال أو قل نحو هدفها المنشود وستمر بمرحلة اعداد وتربية وأحد مظاهر هذه المرحلة ومفرداتها بروز الخوف، لذا قال سبحانه (**وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ**

---

(١٠٣) الأعراف: ١٢٨ .

(١٠٤) الأنبياء: ١٠٥ .

خَوْفِهِمْ أَمْناً) والخوف يعني المعاناة والتعسف والظلم الذي تتعرض له الأمة ويكون الخوف أحد مظاهر حياتها فهي إذاً ظروف تطغى فيها أمثال هذا المظهر وغيره قبل مرحلة التمكين حتى تصل الى تحقيق العبادة يعبدونني عبادة لا خوف فيها ولا شرك ولا ظلال، بل وحتى الشرك الخفي سيزول من محتوى الأمة ليحل محلّه الأمن، لأن الشرك ظلم، وهذا ليس من صفات الأمة المستخلفة حين تتوافر فيها شروط الاستخلاف، ثم لم يذكر لنا التاريخ بأنّ الله سبحانه قد أنجز وعده بهذا المعنى المتقدم للاستخلاف في الأرض كل الأرض لا قبل النبي(صلى الله عليه وآله) ولا بعده. وإن إنطبق فلينطبق على زمن ظهور المهدي(عليه السلام)على ما ورد في الأخبار المتواترة عن النبي(صلى الله عليه وآله)وأئمة أهل البيت(عليهم السلام) من صفة يوم الظهور وهنا نجد الخطاب للمجتمع الصالح لا له (عليه السلام)وحده.

فإن قلت: ما معنى الوعد حينئذ للذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات وليس المهدي(عليه السلام) أحد المخاطبين حين النزول ولا أحد من أهل زمان ظهوره بينهم؟

قلت: فيه خلط بين الخطابات الفردية والاجتماعية أعني الخطاب المتوجه الى أشخاص القوم بما هم أشخاص بأعيانهم والخطاب المتوجه إليهم بما هم قوم على نعت كذا فالأوّل لا يتعدى الى غير أشخاص ولا ما تضمّنه من وعد أو وعيد أو غير ذلك يسري الى غيرهم، والثاني يتعدى الى كل من اتصف بما ذكر فيه من الوصف ويسري عليه ما تضمّنه من الحكم، وخطاب الآية من القبيل الثاني .

ومن هذا القبيل أغلب الخطابات القرآنيه المتوجهة الى المؤمنين والكفار، ومنه الخطابات الذامّة لأهل الكتاب وخاصة اليهود بما فعله أسلافهم وللمشركين بما صنعه آباؤهم.

ومن هذا القبيل خاصة ما ذكر من الوعد في قوله تعالى: **(فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسوءُوا وُجُوهَكُمْ)**[١٠٥]، فإن الموعودين لم يعيشوا الى زمن إنجاز هذا الوعد، ونظيره الوعد المذكور في قول ذي القرنين على ما حكاه الله: **(فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً)**[١٠٦]، وكذا وعده تعالى الناس بقيام الساعة وانطواء بساط الحياة الدنيا بنفخ الصور كما قال: **(ثَقُلَتْ فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ لاَتَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً)**[١٠٧]، فوعد الصالحين من المؤمنين بعنوان أنهم مؤمنون صالحون بوعد لا يدركه أشخاص زمان النزول بأعيانهم ولما يوجد أشخاص المجتمع الذي يدرك إنجاز الوعد مما لا ضير فيه البته.

فالحقّ أن الآية إن أعطيت حقّ معناها لم تنطبق إلاّ على المجتمع المعد الذي سينعقد بظهور المهدي(عليه السلام)، وإن سومح في تفسير مفرداتها وجملها وكان المراد باستخلاف الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات استخلاف الأمة بنوع من التغليب ونحوه، وبتمكين دينهم

---

(١٠٥) الاسراء: ٧ .

(١٠٦) الكهف: ٩٨ .

(١٠٧) الأعراف: ١٨٧ .

الذي ارتضاه لهم كونهم معروفين في الدنيا بالأمة المسلمه عدّهم الإسلام ديناً لهم وإن تفرّقوا فيه ثلاثاً وسبعين فرقة يكفّر بعضهم بعضاً ويستبيح بعضهم دماء بعض، إلاّ أنه لم يكن حالة دائمة إنّما ستزول وسيبدل الله خوفهم أمناً، ويعبدون الله ولا يشركوون به شيئاً. وعليه فانّ الموعود بهذه الآية هي الأمة المسلمة والمراد باستخلافهم مارزقهم الله من العزّة والشوكة فلا دليل لقصر الآية في زمن الخلفاء بل يجري فيما بعد ذلك الى زمن انحطاط الخلافة الإسلامية وما بعدها حتى تحقيق يوم الظهور الذي لا تنطبق عليه.

ولهذا ورد عن الإمام الصادق(عليه السلام) في معنى قوله عزّ وجل (**وعد الله الذين آمنوا منكم...**)قال أنها نزلت في القائم وأصحابه[١٠٨].

٢ ـ (**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**)[١٠٩].

الآية تتكلم عن أحداث ستقع في المستقبل تكون بمثابة شاهد ودعم للرسالة وهذه الأحداث منها ما يقع في الآفاق وهي البلدان والنواحي، لأن الآفاق جمع أفق وهو الناحية، ومنها ما يقع في الأنفس والمقصود منه قتلهم الذريع كالذي وقع في بدر ; لذا قال البعض بأنها تعني أصحاب الرسول الذين فتحوا البلدان وتمكنوا من مشركي مكة. لكن الخطاب لم يكن خاصاً بمشركي قريش لتشخص الآيات بهم، وإنّما الخطاب عام يشمل مشركي الأمة عامة، ولكن يمكن الجمع بين الوجهين أي أن الخطاب يشتمل على النزول وما بعده، وعليه يمكن أن يكون المراد بإراءة الآيات وتبيين الحق بشكل مطلق لا في زمن النبي فحسب واستفادة ذلك من الآيات التي تشير بأن الله سيظهر دينه على الدين كلّه، فلا يعبد على وجه الأرض دون الله مطلقاً وبه يتحقق مصداق آخر الآيات التي تشمل الآفاق والأنفس وتكون دليلاً على دعوة الإسلام الحقّة ذلك بظهور دولة الحقّ بقيادة الإمام المعصوم آخر الزمان الذي تشمل دولته كلّ العالم ويتمكن من أعداء الله وسترى الناس آيات الله في البلاد كلها كماترى زوال الظلم وأهله من تلك الدولة.

٣ ـ (**وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ* وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ* وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ**)[١١٠] .

الأمة المعدودة هي الجماعة الصالحة الموعودة التي سينتصر بها الله لدينه والمشار إليهم في الآية (**فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**)[١١١]. وفي الآية

(**لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً**)[١١٢].

---

(١٠٨) إثبات الهداة ٧:٨١ .

(١٠٩) فصلت: ٥٣ .

(١١٠) هود: ٨ ـ ١٠ .

(١١١) المائدة: ٥٤ .

والآية التي تشير الى الأمة المعدودة تحسب من الآيات التي تتكلم عن الملاحم والمؤوّلة بأصحاب الإمام المهدي كما تشير إليها بعض الروايات.

نتيجة البحث

لقد تبيّن من خلال البحث أن المصدر الأساس لفهم الرسالة هما القرآن والعترة بعد النبي(صلى الله عليه وآله) .والإمام المهدي(عليه السلام) ودولته المبشّر بها من الاعتقادات الإسلامية المسلّم بها، وقد تناولها القرآن بمزيد من التفصيل والبيان، إلاّ أن المناهج التفسيرية المتأثرة بالمذاهب الكلامية والمبتعدة عن مدرسة أهل البيت أوجدت كثيراً من الحواجز والضبابية على آياته ومفاهيمه ومنها مسألة الإمام المهدي(عليه السلام) .

ويدخل معنى التأويل في القرآن كأحد العلوم الذي يكشف بدوره عن الحقائق التي تبدو غامضة ومنها مسألة الإمام المهدي والإشارة إليه كأحد مصاديق الآية.

والأئمة المعصومين من حيث الموقع والمسؤولية لا يختلف أحدهم عن الآخر، والإمام المهدي هو آخر تلك السلسلة فما ثبت لهم(عليهم السلام)من الشروط والصفات يثبت له كالعصمة والعلم بالغيب والعلم بتأويل الكتاب وغيرها.

وحين البحث عن الآيات ذات الموارد التي تنطبق على الإمام المهدي نجدها قد أشارت الى حتمية قيام الدولة. ثم للظواهر الإيمانية التي تتصف بها مرحلة الانتظار ثم الإشارة الى السنن الإلهية المطلقة التي تكشف عن دور الإرادة الإلهية وحتمية إيجاد ذلك اليوم الموعود.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١١٢) النور: ٥٥.

الفهرس

مقدمة المجمع ... ٥
المقدمة ...٩
الفصل الأوّل: المناهج التفسيرية الطارئة وأثرها في الدراسات القرآنية ...١٣
الفصل الثاني: التأويل في القرآن الكريم ...٢١
المعنى اللغوي...٢١
المعنى الاصطلاحي...٢٢
اختصاص أهل البيت(عليهم السلام) بهذا العلم ...٢٨
الفصل الثالث: الإمامة في القرآن ...٣٣
النقطة الأولى: العلم بالكتاب ...٣٤
النقطة الثانية معنى الاصطفاء ...٣٧
النقطة الثالثة: الشهداء بالكتاب بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ...٤٠
النقطة الرابعة: الحكّام بالكتاب بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ...٤٥
الفصل الرابع: حتمية الظهور ...٥٠
الفصل الخامس: الظواهر في مرحلة الانتظار ...٥٩
الفصل السادس: السنن الإلهية في مرحلة الانتظار ...٦٣
الفصل السابع: الدولة الإسلامية والمجتمع الفاضل ...٧٩
١ ـ الاستخلاف ...٨١
٢ ـ التمكين...٨٢
٣ ـ التبديل ...٨٣
نتيجة البحث ...٨٨
الفهرس ...٩١